وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

MINISTÈRE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

ⴰⵢⵏⵉⵣⵔⵉ ⵏ ⵜⵙⵙⵏⵉⵡⵉⵏ ⵜⵉⵏⵣⵡⴰⵏ ⴷ ⵜⵙⵏⵙⵉⵡⵉⵏ ⵜⵉⵙⵙⵏⴰⵢⵉⵏ

ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵏ ⵎⵓⵍⵓⴷ ⵎⵎⵔⵉ ⴷ ⵜⵣⵣⵓ

ⵜⴰⵣⵣⴰⵢⵜ ⵏ ⵜⵉⵡⵙⵙⵉⵔⵉⵏ ⴷ ⵜⵓⵜⵍⴰⵢⵉⵏ ⵜⵉⵎⵓⵔⴰⵏⵉⵏ

UNIVERSITÉ MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU

FACULTÉ DES LETTRES ET DES LANGUES

DÉPARTEMENT DE LANGUE ET LITTÉRATURE ARABES

جامعة مولود معمري –تيزي وزو

كلية الآداب واللّغات

قسم اللّغة العربيّة وآدابها

رقم الترتيب.....

الرقم التسلسلي.....

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي.

الفرع: دراسات نقدية

التخصص: نقد حديث ومعاصر

بنية الأسطورة في روايات إبراهيم الكوني

إعداد الطالبة:

– سميرة بن زابة

إشراف الأستاذة:

صليحة مرابطي

أعضاء لجنة المناقشة:

د. عزيز نعمان، أستاذ محاضر ب، جامعة مولود معمري تيزي وزو ..... رئيسا

أ. صليحة مرابطي، أستاذة مساعدة أ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ..... مشرفا ومقررا

أ. جمال بن عمار، أستاذ مساعد أ، جامعة مولود معمري تيزي وزو.....ممتحنا

السنة الجامعية 2017م– 2018م

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى والديّ الكريمين اللذين رافقاني بدعائهما وتشجيعهما في رحلتي البحثية

إلى أخواتي اللواتي يتربعن على عرش قلبي: ليليا، سيليا وليندة

إلى أعز وأغلى ما أملك في الوجود إخوتي: حمزة، محمد، ماسينيسا وبلال

إلى خالتي العزيزة فريدة وابنة خالي الغالية زينة

إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد وإلى كل من جمعتني بهم الدراسة، تاركة في نفسي المحبة والوفاء.

كلمة شكر

الشكر والحمد للذي يعطي ولا يبخل دون أن يسأل إلى رب الكون المبجل

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة الفاضلة مرابطي صليحة على توجيهاتها وصبرها

كما أشكر أعضاء لجنة المناقشة الذين تحملوا عناء قراءة هذا العمل

مقدمة

مقدمة:

تسعى الرواية العربية المعاصرة إلى تجديد أدواتها التعبيرية لتحافظ على أدائها الأدبي والفني، مستندة في ذلك إلى مقوماتها الذاتية، وإلى تقنيات مستوردة، محاولة أن تواكب منجزات الآخر الجمالية والمضمونية، دون أن تفقد هويتها، لذلك تقلد الرواية الغربية في الإغتراف من الفولكلور الشعبي والخرافات، وتسعى لأن تطعم نفسها بسرود تاريخية وأسطورية وعقائدية وأدبية لتأثيث عالمها التخييلي، ولأنّ هذه العناصر الحكائية محلية، فإن هذا النزوع الروائي يعتبر في آن شكلا من أشكال المحاكاة لتحولات الجنس الروائي الغربي وشكلا من أشكال السعي إلى تأصيل عربي لهذا الجنس الأدبي الوافد.

وتعتبر الأسطورة من هذه العناصر الحكائية البنائية في الرواية الجديدة، لذلك تغيرت النظرة إليها ولم تعد سمة مميزة للمجتمعات البشرية الأولى، كما لم تعد وقفا على التفسيرات البدائية لنشأة الكون والطبيعة، أو طقوسا سحرية، بل امتدت لتشمل البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في المجتمعات الحديثة، لذا فقد تعددت تعريفاتها بتعدد منطلقات الدرس الأسطوري، وغاياته ووسائله، وتداول المصطلح في مختلف مجالات العلوم الإنسانية وغالبا ما يكون لكل تعريف دوره الوظيفي، بحيث يطوّعه الباحث لصالح الحقل المعرفي الذي يشتغل عليه، ومهما يكن فإن ثمة قاسما مشتركا يجمع بينها جميعا، وهو أن الأسطورة رواية أفعال إله أو شبه إله لتفسير علاقة الإنسان بالكون، أو بنظام اجتماعي، أو عرف، أو بيئة لها خصائص تنفرد بها، أو هي مظهر لمحاولات الإنسان الأولى كي ينظم تجربة حياته في وجود غامض خفي، إلى نوع من النظام المعترف به، مثلما نجده في روايات وقصص الروائي الليبي إبراهيم الكوني. ويقول ميرسيا إلياد في هذا الصدد: "هي حكاية مقدسة تروي حدثا جرى في الزمن الأوّل...وهي بالتالي حكاية خلق شيء معين، وكيف بدأ يتجلى في الوجود"

إبراهيم الكوني هو من رواد الرواية المعاصرة، تميزت أعماله بصفة خاصة بالاتكاء على عنصر الأسطورة، ولم يكتف بالتعامل بالرموز الأسطورية، بل ارتقى إلى التعامل بنمط الأسطورة، فيصوغ بذلك أساطير خاصة به، مقتنعا أن الأساطير هي كل ما حوّله الأدب إلى أساطير. بحيث نجده اختار فضاء الصحراء، الذي يبدو في ظاهره جافا ومتقشفا واستطاع بقدرته الفنية العالية، أن يحول عناصر الطبيعة الصماء إلى عالم سردي بديع تؤثثه اللغة الجمالية التي لا تعتني بوصف المظاهر الخارجية للمكان فقط، بل تهتم كذلك برصد الأبعاد الاجتماعية والثقافية لأصحاب المكان، وهم شعب الطوارق اللذين يمثلون نموذجا إنسانيا متفردا استطاع التعايش مع عالم جغرافي يتصف بالقسوة، والحرمان، حيث رصد الكوني في رواياته وقصصه، المعالم الجغرافية والحياة الاجتماعية، والروحية في الصحراء الليبية بالعودة إلى الماضي السحيق للصحراء، والكشف عن أساطيرها ورموزها ورمالها التي سطر عليها الأسلاف تعاويذهم وتمائمهم السحرية، وهذا ما سنلمسه من خلال موضوع بحثي الذي عنونته "بنية الأسطورة في روايات إبراهيم الكوني". هذا يدفعنا إلى التساؤل: ما هو شكل الأسطورة في كتابات إبراهيم الكوني؟ وما هي مواضيعها؟ وما هي الأبعاد الوظيفية والتأويلية للأساطير في روايات الكوني؟

واستعنت في تحليلي بالمنهج التأويلي وعضدته بتحليل موضوعاتي للأساطير الواردة في أعمال الكوني، كما استفدت من المنهج البنيوي معتمدين على دراسة مرسيا إلياد وليفي ستراوس للأسطورة.

من الدوافع التي دفعتني لاختياري لأعمال إبراهيم الكوني الروائية سببان، الأول هو استبطان هذا الموروث الثقافي الكبير، الذي لا يستطيع أن ينكر وجوده أحد، باعتباره موروثا ثقافيا علق بذهن الشعب الصحراوي منذ الأزل وترسخ في أعماقه بصيغ مختلفة، والثاني رغبتي الشخصية في معرفة ما تحويه أعمال إبراهيم الكوني، ومدى نجاحه في خلق رواية يتظافر فيها الواقعي بالأسطوري، والحقيقي بالخيالي.

وفي محاولة للإجابة على الأسئلة السابقة، اتبعنا الخطة التالية:

قسمت البحث إلى فصلين، يتضمن كل فصل عنصرا من العناصر المكونة، كما لا ننسى مقدمة ومدخل، حيث تطرقنا فيه إلى تعريف الأسطورة.

في الفصل الأول تناولت مجموعة من الأساطير التي وظفها إبراهيم الكوني في رواياته بعنوان تشكلات الأسطورة في روايات الكوني.

وفي الفصل الثاني، تعرضت إلى دراسة البنية الوظيفية للأسطورة، حيث عالجت فيه بعض وظائف الأسطورة، كالوظيفة المعرفية والوظيفة العقائدية والوظيفة التكفلية والوظيفة النفسية.

وقد استند بحثي إلى مراجع متنوعة أهمها:

فراس السواح: مغامرات العقل الأولى

نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي

مرسيا إلياد، مظاهر الأسطورة.

وفي الخاتمة أبرزت جملة من النتائج التي توصت إليها من خلال هذه الدراسة

ومن أبرز الصعوبات التي واجهتني لإتمام هذا البحث:

- قلة المراجع والمصادر التي تفيدني في دراستي هذه، خاصة ما تناول الأدب الليبي.
- احتواء كتابات الكوني على كلمات صعبة وغير مفهومة، أبرزها: إيلوكمن، طالمت أوارا، آنهي، آنجي، الأبلق، الطوطم، الطلياني....

وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من قدم لي المساعدة من قريب أو من بعيد خاصة الأستاذة المشرفة. وأتمنى أن أكون قد وفقت في هذه المحاولة التي أرجو من خلالها المساهمة ولو بقليل في إثراء مجال الدراسات الأدبية والنقدية، والله الموفق.

مدخل

مفهوم الأسطورة

الأسطورة هي اشتقاق من "سطر" أي ألف الأساطير أو الاحاديث التي لا أصل لها الأحاديث العجيبة الخارقة للطبيعي والمعتاد عند البشر، فهي حكاية عن كائنات تتجاوز تصورات العقل الموضوعي، وما يميزها عن الخرافة هو الاعتقاد فيها، فالأسطورة موضوع اعتقاد[1]. إذ ترتبط بالمعتقدات الدينية وتكون بمثابة امتداد طبيعي لها، وتعمل على توضيحها وتثبيتها لتصبح متداولة بين الأجيال.

ويرى الدكتور "عبد المعيد خان": أن الأسطورة عبارة عن تفسير علاقة الإنسان بالكائنات وهذا التفسير هو أراء الإنسان فيما يشاهد حوله في حالة البداوة، فالأسطورة مصدر أفكار الأولين[2]. هذه الأفكار الناتجة عن المخيلة الشعبية، نجدها مجهولة المؤلف ومجهولة البلد الذي تنتمي إليه، وإنها زئبقية تتحول بحسب حالة المجتمع التي هي فيه، فهي حكاية غريبة يغلب عليها الخيال، تجمع بين التراث الشعبي والديني والتاريخي، وتتجلى فيها مقدرة المخيلة الشعبية والأدبية على تحويل الوسائل إلى مبالغات وخرافات تجسد قوى الطبيعة والآلهة[3].

كما عرفها الدكتور "رابح العوبي" بقوله: "أنها حكاية تعمد إليها المخيلة الشعبية البدائية إخراجا لدوافع داخلية، رغبة في التعرف عن الحقيقة محاولة لفهم الظواهر المتعددة، الغريبة التي تثير التأمل الذي ينجم عنه العجب والتساؤل الباعث على البحث عن الإجابة الحاسمة فهي نتاج جماعي تتناقله الأجيال بحرفتيه، وتخضع في أحيان أخرى إلى صياغته، حيث يقوم أفراد متميزون في الحياة الفكرية والدينية للجماعة بإعادة هذه الرسالة، ورسالة الأسطورة هي رسالة زمنية، وبالتالي هي حدث غير تاريخي، إذ أنها تنتمي إلى سلوك روحي، وهي نتاج وليد الخيال يصور الشيء البعيد عن المنطق والمعقول"[4]. كان الإنسان البدائي يفسر

---

[1]– ينظر: خليل أحمد خليل: مضمون الأسطورة في الفكر العربين دار الطليعة، بيروت، 1986، ط3، ص 08.

[2]– ينظر: محمد عبد المعيد خان: الأساطير والخرافات عند العرب، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1981، ط3، ص20.

[3]– ينظر: عبد النور جبور: المنجد في اللغة العربية، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2000، ط2، ص 503.

[4]– رابح العوبي، أنواع النثر الشعبي، منشورات باجي مختار، عنابة، د.س، د ط، ص 19، 20.

ظواهر الطبيعة على أنها وقائع وأحداث منطقية، تتماشى مع فهمه في ذاك الزمان حيث كان البشر يمارسون السحر ويؤدون طقوسهم الدينية التي كانت سعيا فكريا لتفسير الظواهر الطبيعية، وأنها نشأت استجابة لعواطف الجماعة القاهرة.

فكانت عملية إخراج لدوافع داخلية في شكل موضوعي، والغرض من ذلك حماية الإنسان من دوافع الخوف والقلق الداخلي[1]، وبذلك أصبحت قصة سردية تتحدث عن تاريخ الآلهة أو تاريخ الأبطال والأجداد، وقد تكون سيرة حيوانات، كما أنها مزودة بذلك الجانب الخيالي المرتبط بالعواطف والانفعالات.

إن الكثير من الباحثتين المعاصرين قد اهتموا بدراسة الأساطير، ومن بينهم نجد الدكتور "فراس السوّاح" الذي تعمق في هذا المجال بعد دراسته ربع قرن لموضوع الأسطورة وتاريخ الأديان، والأسطورة عنده هي: حكاية مقدسة، ذات مضمون عميق، يشف عن معان ذات صلة بالكون والوجود[2]. إذن الأسطورة ليست حكاية فقط، بل هي حكاية مقدسة، فكما أن لكل منا حكاياته المقدسة، فكذلك الأسطورة لها أهميتها، فهي تشف عن معنى عميق في ذات الإنسان، وما يرفع من أهمية أساطير الأولين، هو ارتباطها بالمعتقدات التي ترتبط هي بدورها بنظام ديني معين، ولا حياة لها خارج هذا النظام الديني. فهي تتدخل بشكل طبيعي في حياتنا الدينية، والاجتماعية بقدر ما تتدخل حياتنا الدينية بحياتنا الاجتماعية، فقدسية الأسطورة، بحسب الناقد "فراس السواح"، تأتي من مسالة الدين برمتها، حيث يرى أن الدين الإنساني مؤلف من ثلاث مكونات، بمعنى أن أي ظاهرة إنسانية للعبادة يجب أن تتكون من هذه المكونات لكي تكون دينا، وهي:

- المعتقد
- الطقس
- الأسطورة.

---

[1]– ينظر: نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للنشر والتوزيع، مصر، 1981، د.ط، ص 18.

[2]– ينظر: فراس السواح: الأسطورة والمعنى، دار علاء الدين للنشر، دمشق، سوريا، 1997، ط1، ص 14.

لا يوجد دين بدون معتقد، ولا يوجد دين بدون أسطورة، أي حكاية مقدسة، ولا يوجد دين بدون طقس فالأسطورة هي مكون أساسي من مكونات الدين، ومن هنا تأتي قداستها[1].

إن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو بالرجوع إلى تعريف الأسطورة عند الدكتور "رابح العوبي" وغيره كثير أين قالوا بأن الأسطورة حكاية خرافية، وفي المقابل نجدها مقدسة عند الباحث السوري "فراس السواح"، فكيف يمكن تقديس ما لا وجود له؟ وهو سؤال طرح على الدكتور "فراس السواح" في إحدى محاضراته، فأجاب قائلا: "الأساطير لها وجود وهو أن صاحبها يؤمن بمحتوياتها كما يؤمن بشيء آخر وأنا لست حكما لأقول بأن ما نؤمن به صحيح أو لا، الحكاية المقدسة موجودة وأنا لا أحاكم تاريخيتها، أحاكم الرمز، أقيم الرمز الموجود في الحكايات الأسطورة ماذا تحوي؟ ما هو مضمونها؟ إلى أي مدى تعينني على التلاؤم مع العالم ومع الكون؟ هذا هو دور الأسطورة، فليس من الضروري أن تكون حدثت أو أنها حقيقة تاريخية أو أنها مثبتة علميا، فهي حقيقة بالنسبة لي، وقد قدمت أسلوبا للتلاؤم مع الكون وطريقة للنظر إلى العالم، وقد أدت مهمتها"[2].

وتأكيدا لسمة القداسة التي تتميز بها الأسطورة، يضيف إليها خصائص أخرى فيقول: «الأسطورة حكاية مقدسة، يلعب أدوارها الآلهة وأنصاف الآلهة، وأحداثها ليست مصنوعة أو متخيلة، بل وقائع في الأزمنة الأولى لا المقدسة، إنها سجل لأفعال الآلهة، تلك الأفعال التي أخرجت الكون من لجة العماء ووطدت نظام كل شيء قائم ووضعت صيغة أولى لكل الأمور الجارية في علم البشر، فهي معتقد راسخ، فالأسطورة حكاية مقدسة تقليدية بمعنى أنها تنتقل من جيل لآخر بالرواية الشفوية مما يجعلها ذاكرة جماعية»[3].

---

[1]– ينظر: فراس السواح: الأسطورة مكون أساسي من مكونات الدين، على الموقع:
www.maaber.org/issue-july05/mythology1.htm، تاريخ الإنزال:2003/05/22، تم الاطلاع عليه يوم 2018/09/29

[2]– المرجع نفسه.

[3]–مهدي جعفر: فكر فراس السواح، الميثولوجيا والأديان، الحوار المتمدن، على الموقع:
www.m.ohewar.org/s.asp?aid=571024ar=0 تاريخ الإنزال:2017/09/04، تم الاطلاع عليه يوم 2018/10/02

إن الموضوعات التي تدور حولها الأسطورة تتميز بالجدية والشمولية، وذلك مثل التكوين والأصول والموت، والعالم الآخر، ومعنى الحياة، وسر الوجود، وتلعب الآلهة وأنصاف الآلهة الأدوار الرئيسية فيها وهي سجل أفعالهم منذ الخلق الأول حيث الشك لا يتطرق إلى نفس البابلي بأن الإله مردوخ* قد خلق الكون من تنين العماء البدائي، وأنه قد صنع الإنسان من تراب ممزوج بدم إله قتيل[1]، وعليه نجد أن الأسطورة ترتبط بنظام ديني معين وتعمل على توضيح معتقداته وتدخل في صلب طقوسه، فالطقوس الدورية الكبرى في أي دين، إنما ترتبط عضويا بأساطير كبرى، وتعتبر بمثابة تكرار على المستوى الطبيعي للحدث الأسطوري الذي يجري على المستوى الغيبي[2].

الأسطورة ليست وليدة مكان محدد، بل هي ظاهرة جماعية يشترك فيها الناس وتتلون بحسب أذواقهم ومجتمعاتهم، وتروي تاريخا مقدسا وتسرد حدثا وقع في عصور ممعنة في القدم، عصور خرافية تستوعب بداية الخليقة[3]. ومهما يكن فإن الأسطورة خارقة للعادة تعبر عن استجابة الإنسان الأولى لعالمه، وعليه فهي وقائع تاريخية قامت الذاكرة الجماعية بتغييرها وتحويرها وتزيينها، وكلمة أسطورة في اللغة العربية تتضمن معنيين: معنى الكتابة ومعنى التسطير (الاختراع والتزيين والتنميق)، وهي لا تخرج عن كونها تعني الأحاديث العجيبة المؤلفة عن غير نظام والأقاويل المزخرفة المنمقة، أو هي الأباطيل وبالتالي هي عين الوهم والباطل والمحال[4].

---

*– الإله مردوخ كبير آلهة بابل.

1– ينظر: فراس السواح: الأسطورة والمعنى، ص13

2–ينظر: المرجع نفسه، ص 13–14.

3–ينظر: كمال الدين حسين: التراث الشعبي في المسرح المصري الحديث، تقديم مختار السويفي، الدار المصرية اللبنانية، 1993، ط1، ص 27.

4–ينظر: حمودي سعدي: توظيف الأسطورة في روايات عبد الحليم بركات، رواية أنانة والنهر نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الشعبي، جامعة خنشلة، 2006، ص46.

أما عن تعريف الأسطورة عند الغرب، فقد جاء في معجم **بول روبارت** " **Robert Paul**" بأن: "الأسطورة هي حكاية خرافية غالبا، أصلها شعبي وشخصياتها عبارة عن كائنات عجيبة على شكل رمز للقوى الطبيعية، التي تمثل ظرف من ظروف الحياة"[1] تنتمي إلى الأدب الشعبي، وهي شبيهة بالخرافة، ويعرفها معجم **فونك Rainer Funk** بأنها: "قصة تبدو كأنها حدثت فعلا في زمن سابق، وهي تفسير العقائد الميتافيزيقية، وما وراء الظواهر الكونية، والآلهة، والأبطال، والسمات الثقافية، والمعتقدات الدينية"[2]، وقد جاءت في الموسوعة العالمية للأساطير في قول **روبارت سميث Robert Smith**: "أولا وقبل كل شيء ليست إلا نوعا خاصا من قصة نموذجها حددته تواريخ الآلهة في الميثولوجيا الإغريقية الموغلة في القدم، وعلى الرغم من أن الكثير من الأساطير ليست تواريخ أديان، فهي على كل حال قصص أبطال، ولكنها تتميز بصفات لحكايات شعبية المستوحاة من التاريخ، ثم هي تواريخ أجداد، ولكنها تتميز بخصائص القصص التاريخية، وتاريخ الحيوانات التي تتميز بالصبغة الخرافية، وتعمد معظم الشعوب نفسها إلى تصنيف مختلف أنواع القصص التي يسهل بها تمييز درجة الأساطير"[3].

وقد وجد قوله نقدا من قبل الباحثين، فهو بحسب الناقد الجزائري "**عبد المالك مرتاض**": لم يقل شيء كبير ذلك لأنه عمد إلى تعريف الأسطورة على أنها قصة، لكنه حرصا منه على عدم تداخلها مع القصة القصيرة، ذهب إلى ربطها بالآلهة، لكنه تفطن إلى أن الأسطورة لا تقوم بالضرورة على تاريخ الآلهة، فقام بربطها بتاريخ الأبطال، ثم ما لبث أن ربطها بتاريخ الأوائل من الأجداد، وهذا لم يكن"[4]، فهي قصة خالدة، لا اصل لها ولكنها ذات دلالة حضارية معينة، ومعان مبطنة، وهي في الغالب تتعلق بالآلهة وعظماء البشر

---

[1] –Paul Robert, le petit Robert, avenue Parmentier, Paris, G6–1986, p 1251

[2]– كمال الدين حسين، التراث الشعبي في المسرح المصري الحديث، ص 27.

[3]– عبد المالك مرتاض: الميثولوجيا عند العرب، الدار التونسية، MTE، دس، دط، ص13.

[4]– المرجع نفسه، ص 13.

ويدور محورها حول دراما الخلق والتحول والانتصار، أما عند الدكتور "**محمد عبد المعيد خان**" فهي: "ليست جزءا جوهريا من دين قديم لأنها ليست في شريعة الدين وبالتالي كانت غير لازمة للمتعبدين"[1]، فهي تستنبط من العادات والشعائر وليس العكس.

إن ما يلاحظ على هذه التعاريف هو اشتراك الأسطورة مع بعض الأجناس الأدبية كالخرافة، والحكاية الشعبية، فالخرافة أحداثها غريبة، ومبالغ فيها وتسير في اتجاهات متداخلة، فهي لا تتقيد بزمان أو مكان حقيقين، أما الحكاية البطولية، فهي تتسم ببعض ميزات الخرافة من إغراق في الخيال، وبعدها عن الواقع إلا أن لها أصلا في الحقيقة الموضوعية، ويدخل هنا عمل الخيال البشري بأن يجعله مبالغا فيه ومضخما، غير أنه خال من طابع الجد والقداسة، أما الحكاية الشعبية فموضوعاتها لا تكاد تقتصر على مسائل العلاقات الاجتماعية والأسرية خاصة كحقد زوجة الأب وغيرة الإخوة من البنت الصغرى فهي ترتكز على هموم الحياة اليومية أما بنيتها فتمتاز بالبساطة وتحافظ على التسلسل المنطقي، ولها رسالة تعليمية تهذيبية جزاء الخيانة مثلا.[2]

إن صلة القرابة بين الأسطورة والخرافة قريبة جدا، حيث نجد في بعض الأحيان حكاية خرافية تحمل مضامين دينية، كما تختفي صفة القداسة عند الأسطورة فتنزل إلى رتبة الخرافة حيث تستمر فاعلة في الأدب الشعبي.

في موضع آخر نجد **صموئيل هنري هووك** "**Samuel Henri Hock**" يعرف الأسطورة بقوله: " الأسطورة نتاج المخيلة الإنسانية، وهي تنبثق من موقف محدد لتؤسس

[1]– محمد عبد المعيد خان: الأساطير والخرافات عند العرب، ص 18.

[2] – ينظر: فاطمة شكشاك: التراث الأسطوري في المسرح الجزائري المعاصر، مسرحية (كل واحد وحكمو) لعبد الرحمن كاكي نموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الحديث، تخصص مسرح جزائري، جامعة باتنة، 2009، ص 25.

شيئا ما"[1]، فهي نشاط نابع من موقف معين يهدف إلى وظيفة محددة، أما الباحث السويسري **مارك شورر** "**Marc Scherer**" يرى أن لفظ الأسطورة لا ينفي الأفكار كما أنه لا يعني شيئا يعكسها، وإنما يعني الأساس الذي تقوم عليه هذه الأفكار[2].

ويرى الكثير من الباحثين ان الأسطورة في المجتمعات القديمة تقوم مقام العلم بالنسبة لمجتمعاتنا في الوقت الحالي، فما كان بالأمس حقيقة هو اليوم أسطورة، فتخضع الأساطير لسلطان العقل وليس العلم هو الفاصل الأساسي في حياة الإنسان، وعليه كانت الأسطورة مغامرة عقلية، فلسفية ومحاولة للتفسير انطلاقا من هنا، يرى صموئيل هنري هووك أن السؤال الجدير بالذكر ليس القائل: أهي حقيقة أم لا، بل ما المقصود منها، إذ أنها لا تحكي عن واقع حدث بالفعل. [3]

وعن القداسة يرى الباحث الأنثروبولوجي ومؤرخ الأديان **مرسيا إلياد** " **Mercia Iliade**" أن: "الأسطورة تروي تاريخا مقدسا، تروي حدثا جرى في الزمن البدائي، الزمن الخيالي، زمن البدايات، أو بعبارة أخرى تحكي لنا الأسطورة كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود بفضل مآثر اجترعتها الكائنات العليا"[4]، كما نجد الفيلسوف وعالم اللسانيات المعاصر "**بول ريكور**" "**Paul Ricœur**" قد تناول أبعاد الأسطورة حيث ربطها بالطقوس وهو يضمنها بعدين، أحدهما تفسيري، والثاني استكشافي، ويشير إلى الوظيفة الرمزية للأسطورة فيقول: "الأسطورة حكاية تقليدية تروي وقائع حدثت في بداية الزمان وتهدف إلى تأسيس أعمال البشر الطقسية خاصة وبصفة عامة يهدف إلى تأسيس جميع أشكال الفعل

---

[1]–صموئيل هنري هووك: منعطف المخيلة الشعبية، ترجمة صبحي حديدي، دار الحوار والنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا 1995، ط2، ص 09.

[2]– ينظر: عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، 1981، ط3، ص 226.

[3] – ينظر: فاطمة شكشاك: التراث الأسطوري في المسرح الجزائري المعاصر، مسرحية (كل واحد وحكمو) لعبد الرحمن كاكي نموذجا، 2009، ص 26.

[4]– مرسيا إلياد، مظاهر الأسطورة، ترجمة نهاد خياطة، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، 1991، ط1، ص10.

والفكر التي بواسطتها يحدد الإنسان موقعه من العالم. فالأسطورة تثبت الأعمال الطقسية ذات الدلالة وتخبرنا عندما يتلاشى بعدها التفسيري (Étiologique) بما لها من مغزى استكشافي وتتجلى وظيفتها الرمزية فيما لها من قدرة على الكشف عن صلة الإنسان بمقدساته"[1].

من خلال ما سبق نقول ان صعوبة تحديد مفهوم الأسطورة لا يعني الاستحالة حتى ولوكان تعريفا جامعا وغير مانع، ومن خلال التعريفات العربية والغربية يمكن أن نخلص إلى مجموعة من الخصائص أهمها:

1-الاسطورة شكل من أشكال التعبير، وهي قصة أو حكاية أو رواية يحكمها مبادئ السرد القصصي من حبكة، وعقدة وشخصيات وما إليها، وغالبا ما تجري صياغتها في قالب شعري يعتمد المحسنات الأدبية والتشبيهات والاستعارات والخيال الذي يساعد على سرعة نقلها وحفظها بين العامة وترتيلها في المناسبات والطقوس.

2-يحافظ النص الأسطوري على ثباته عبر فترات طويلة من الزمن دون أن يعني ذلك جمودها وتحجرها وتتناقله الأجيال بحرفيته طالما حافظ على طاقته الإيحائية بالنسبة إلى الجماعة.

3-لا يعرف للأسطورة مؤلف معين لأنها ليست نتاجا فرديا بل هي ظاهرة جمعية يخلقها خيال الناس وعواطفهم وتأملاتهم ولا تمنع هذه الخاصية الجمعية من أن تكون قد خضعت في بعض الأحيان إلى إعادة صياغتها من قبل أفراد متميزين في الحياة الفكرية أو الدينية للجماعة[2].

---

[1]- محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالتها، دار الفرابي، بيروت، 1994، ط1، ص72.

[2]-ينظر: فاطمة شكشاك: التراث الأسطوري في المسرح الجزائري المعاصر، مسرحية (كل واحد وحكمو) لعبد الرحمن كاكي نموذجا، ص 28.

4-تمثّل الآلهة وأنصاف الآلهة الأدوار الرئيسية في الأسطورة، فإذا ظهر الإنسان على مسرح الأحداث كان دوره مكملا رئيسيا.

5-تتميز الموضوعات التي تدور حولها الأسطورة بالجدية والشمولية وذلك مثل التكوين والأصول والموت، والعالم الآخر معنى الحياة، وسر الوجود وما إلى ذلك من مسائل التقطتها الفلسفة فيما بعد إذ أن هم الأسطورة والفلسفة واحد، ولكنهما يختلفان في المنهج، فبينما تلجأ الفلسفة إلى المحاكمة العقلية وتستخدم المفاهيم الذهنية كأدوات لها فإن الأسطورة تلجأ إلى الخيال والعاطفة والرمز.

6-إن الحدث الأسطوري حدث غير تاريخي ورسالة الأسطورة رسالة لازمانية، ومع ذلك فإن مضامينها أكثر حقيقة وصدقا من مضامين الروايات التاريخية.

7-ترتبط الأسطورة بنظام ديني معين وتعمل على توضيح معتقداته، وتدخل في صلب طقوسه.

8-تتمتع الأسطورة بقدسية من نوع خاص، فهي حكاية مقدسة وعنصر القداسة هو ما يميزها عن بقية الأجناس الأدبية الشبيهة بها، فيؤمن أهل الثقافة التي أنتجتها بصدق روايتها إيمانا لا يتزعزع ويرون في مضمونها رسالة أزلية موجهة إلى بني البشر فهي تبين عن حقائق خالدة وتؤسس لصلة دائمة بين العالم الدنيوي والعوالم القدسية[1].

9-الاسطورة هي ملكية جماعية ولا يمكن لأحد ان يدعي حق تأليفها، فهي مجهولة الأصل أو البلد والمؤلف بل المنشأ والتاريخ أحيانا، ناهيك عن كونها تمثل ثقافة الأجيال المتعاقبة، وعالميتها وضحت قدرتها المبهرة على الانتقال وإمكاناتها الهائلة على التكيف خارج وطنها وبعيدا عن زمانها لتظل حية لدى شعوب مخالفة لوطنها[2].

---

[1]-ينظر: فاطمة شكشاك: التراث الأسطوري في المسرح الجزائري المعاصر، مسرحية (كل واحد وحكمو) لعبد الرحمن كاكي نموذجا، ص29.

[2]-ينظر: عبد الله الحمداوي: الأسطورة، المفهوم المتعدد، https://www.m.hespress.com.، تاريخ الإنزال:2018/02/05، تم الاطلاع عليه يوم 2018/10/04

مما سبق يمكن ان نخلص إلى القول بأن محاولتنا لفهم بنية الأسطورة تكمن في الوصول إلى إبراز مكوناتها ويمكن ان نستنتج أن الأسطورة هي القصة التي تروى في شكل واقعي أو خيالي، يصدقه الراوي أو لا يصدقه، من أجل التأسيس لعقيدة ما أو الإيمان بها أو من اجل تبرير ضروب من السلوك والقيم، وتفسيرا لأصول الشعوب والجماعات والمؤسسات أو الظواهر الاجتماعية والطبيعية تفسيرا لا ينتمي إلى التفسير التاريخي أو العلمي كما نفهمه اليوم، بل تفسيرا خاصا قد يبدو أحيانا غريبا وغير معتاد. وعلى العموم فإن مادة الأسطورة هي الحدث التاريخي، وهذا الحدث ليس مصطنعا أو متخيلا، إنما هو واقع وأحداث حصلت من صنع قوى غيبية، وفي كل الحالات هو حدث ذو تأثير مهم في حياة الإنسان يستحق التسطير والحفظ للأجيال القادمة.

الفصل الأول:

تشكلات الأسطورة في روايات الكوني

1-الأسطورة الكونية (التكوين)

2-الأسطورة الطقوسية

3-الأسطورة التعليلية

4-الاسطورة الوعظية

5-الأسطورة الرمزية

6-أسطورة البطل المؤله

تعددت تعاريف الأسطورة بتعدد أنواعها، لذلك لم نجد هناك تعريفا موحدا فهناك من الأشياء ما لا تؤديها الصفة المباشرة ولا يدركها الوصف إلا ان المعرفة تحيط بها فنحن جميعا نعرف ما هي الأسطورة ولكن ليس من السهل ان نعطيها وصفا ثابتا موحدا، وعليه يمكن حصرها بحسب النقاد إلى أنواع هي:

1-الأسطورة الكونية (التكوين):

تبحث هذه الأسطورة في أكثر المسائل غموضا وصعوبة، حيث تنظر في الكون وحدوثه وتحاول توضيح بدء الحياة، وما مرت به من مراحل حتى اكتملت، في النبات والحيوان والإنسان، أي أنها تبحث عن تفسير المراحل الأولى لنشوء الكون وكائناته، وتطورها عبر الزمن. وتسمى أساطير التكوين أيضا بالأساطير العلمية، وتتحدث عن قضايا علمية كالخلق، والتكوين، وأصول الأشياء، وهي من الأساطير التي تبهر العقل وتدهشه لتضمنها معاني عظيمة عن خلق الكون وخلق السماء والأرض وخلق النبات وخلق الحيوان والإنسان.

فالأساطير العلمية تدهش العقل الإنساني لأنها تسعى لتوضيح كيفية تكوين مظاهر الكون ومختلف كائناته الحية وتقدم عدة فرضيات حول نشأة الحياة[1].

1-1-أسطورة الجد مندام واللقمة الحرام

وفي رواية المجوس لإبراهيم الكوني ترد أسطورة **الجد مندام واللقمة الحرام** حيث يستهل الكاتب سرد الأسطورة بعتبة مأخوذة من سفر التكوين تحكي قصة أكل المرأة الأولى من الشجرة المحرمة في الجنة، وإعطاء الرجل ليأكل منها، ولعل ما يسمى "بالبداية النصية في الكتابة السردية"، هو العتبة الاستراتيجية التي تحتل مرتبة ذات أهمية بالغة في شد انتباه القارئ، لذلك ينطلق الكاتب في سرد أحداث الأسطورة دون إعادة ذكر تفاصيل الأكل من الشجرة المحرمة، كما وردت في الأسطورة التارقية، نحكيها القصة المأخوذة من سفر

[1]-ينظر: مليكة سعدي: الصحراء والأسطورة في روايات إبراهيم الكوني، مقاربة أنثروبولوجية، أطروحة الدكتوراه، جامعة وهران، 2013، ص 75.

التكوين، فيبدأ السارد بعبارة: «...**بعد أن ذاق اللقمة الحرام، تسمم بدنه بالشهوة، فقد السكينة، وساوره القلق، هام في الأحراش، وتسلق النخيل والعرائش. نزل إلى العيون وشرب من نهر اللبن عله يطفئ الحريق الذي شبّ في صدره، فما كان من الجسد إلا ان زاد اشتعالا بالنار الخفية، تمرغ في التراب وتلوى على الأرض**»[1].

تحكي هذه الأسطورة عن رجل كان يعيش في سلام وسكينة ولا يعرف الشهوة، وهي بذلك تكرس الفكرة الشائعة في جميع الثقافات، وهي أن المرأة هي سبب إغواء الرجل بالعصيان وأكل اللقمة الحرام، والتي كانت نتيجتها العري، واكتشاف الشهوة للجنس الآخر.

ففي هذه الأسطورة التارقية يشتعل بدن الرجل بالشهوة ولم يكن يعرفها من قبل، ويبدأ باكتشاف أسرار الجسد، فيفتح الفم عن شفتين غليظتين، بعد أن كان قبل التهام اللقمة الحرام فتحة رقيقة، ويصاحب هذا التحول المفاجئ الذي يصيب جسم "مندام" ونفسه توتر وشقاء وندم. ويعقب انطفاء الشهوة في نفس مندام وخواء كبير وندم شديد، يقابل بلا مبالاة وتعزية ومداعبة من قبل المرأة التي هي تهب لستر خاصرتها بأوراق التين، حين يفاجئهما حاجب السلطان، ويهرع مندام ليستر فورة فمه بليف النخل، فقد صارت عورة يجب سترها منذ ان ادخل لقمة الحرام وعصى أوامر السلطان[2].

1-2-أسطورة نزيف الحجر:

ونذكر أيضا أسطورة **نزيف الحجر**: إذ يفتتح الكوني روايته بعتبتين نصيتين، الأولى من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ (سورة الأنعام، الآية: 38)

والثانية من العهد القديم، سفر التكوين الإصحاح الرابع: "وحدث إذا كان في الحقل أن قابيل قام على هابيل أخيه وقتله، فقال لقابيل أين أخوك هابيل؟

---

[1]- إبراهيم الكوني: رواية المجوس، ج2، دار التنوير والطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1992، ص 249.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص 249.

فقال لا اعلم هل أنا حارس لأخي؟ فقال: ماذا فعلت؟

صوت دم أخيك صارخ إليّ من الأرض، فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك. متى علمت الأرض لا تعود تعطيك قوتها. تائها وهاربا تكون في الأرض"[1].

تنبه الاقتباسات إلى التماثل القائم بين عالمي الحيوان والإنسان والى ما يجره قتل الإنسان لأخيه الإنسان من جدب وفقر في عناصر الطبيعة. فالحيوان حسب الدلالة العامة للرواية، يملك مرتبة الإنسان، وقد يسمو عليه أحيانا، ولا يحق للإنسان ان يستغله بأي شكل ولا ان يقدم حياته على حياة الحيوان، بل يحصل العكس كما تظهر لنا الرواية والأسطورة المتضمنة فيها[2].

تشترك أسطورة نزيف الحجر مع أسطورة قابيل وهابيل الواردة في سفر التكوين في الاسم قابيل، وعنصر الإخوة الأعداء.

و"التسمية مظهر من مظاهر الاستلهام الأسطوري، سواء اكتفى الأديب بذلك أم تجاوزه على أحداث الأسطورة، ولاحظنا اختفاء اسم هابيل الذي عادة ما يرد معطوفا على اسم قابيل... ولا أظن ان تغييب الروائي اسم هابيل من المتن النصي تقليلا لشأنه أو تقليصا لفعاليته، بل بالعكس، لقد جعله ضمن دائرة السكوت عنه، ليكون نصا صامتا أو بياضا دلاليا يمكن ان يتكون بأكثر من قراءة وتأويل"[3].

---

[1]– سفر التكوين، إصحاح 4، الكتاب المقدس، https://www.enjeel.com/bible.php?ch=24&bk=1 تاريخ الإنزال:2018/01/07 تم الاطلاع عليه يوم 2018/10/15

[2]– ينظر: صالح فخري: في الرواية العربية الجديدة، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2009 ص 148

[3]– عتيقة مديح: توظيف الأسطورة في رواية نزيف الحجر، مجلة الموقف الأدبي، العدد 406، فيفري 2005، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص60.

ويتكئ الكاتب في هذه الأسطورة على العلاقة بين الإنسان والحيوان، اتكاء تغدو فيه هذه العلاقة قصائد وحكايات، وفي الأكثر يؤدي وصف فضائل البشر والحيوان إلى لحمة بين النوعين، والى تشكيل رؤية موحدة تقوم على السرد والوصف الذي تتجلى فيه أبعاد الأسطورة، فجوهر الأسطورة الرئيسية في الرواية والأساطير المحيطة بها يقوم على علاقة الإنسان بالحيوان وعلى استعداد أحد الطرفين للتضحية بنفسه في سبيل إنقاذ حياة الآخر[1]. ونجد في رواية نزيف الحجر شخصية قابيل ابن آدم تمثل إنسانا دمويا قاسي القلب لا يرحم بشرا ولا حيوانا، أما الشخصية السماوية هابيل فهي أسّوف الراعي الطيب، الذي لا يمكنه ان يؤذي بشرا ولا حيوانا، وهو آكل عشب، حرم على نفسه أكل اللحم لأنه يعتبر الحيوان أخا له، عكس قابيل إذ نجده مهووسا باللحم، مدمنا عليه لدرجة يصاب بالصداع، إذا توقف عن أكله، ويظهر ذلك في مقطع من رواية نزيف الحجر لإبراهيم الكوني في قوله: "... **آدم وحواء أنجبا أخوان أحدهما هابيل، تميز بطيب الخلق. وبرغم ذلك فإنه تمكن أن يصبح صيادا ماهرا، ثانيهما كان على خلق قاس وصارم، ولكنه استطاع أن ينجح في الفلاحة ليصبح مزارعا بارعا. في أحد الأيام قرر الأخوان أن يتقربا لله بأضاح وقرابين من ثمار عملهما فأومأت الذات الإلهية بقبول قربان هابيل وتفضيله على تقدمة قابيل. مما أثار قابيل فكره أخاه وقام عليه فقتله**"[2].

وفي موضوع آخر قوله: "... **أصبح أسّوف الآن مصلوبا منفرج الساقين والذراعين جسد يغطي الودان الأسطوري المهيب، ويد الكاهن تلامس رأسه الحاسر من العمامة تربت على رأسه، ظهرت لحيته المكسوّة بالبياض، ورأسه المهدد بالصلع. في عينيه دهشة...**

[1]–ينظر: مليكة سعدي: الصحراء والأسطورة في روايات إبراهيم الكوني، مقاربة أنثروبولوجية، ص106.

[2]– ابراهيم الكوني: نزيف الحجر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1992، ص 101–102.

نطق قابيل مهددا، تكلم أين يسكن الودان يا عبد العبيد؟ فأجابه أسّوف الراعي بتعويذته في إصرار طفولي: لن يشبع ابن آدم إلا التراب"[1].

قتل قابيل أخاه هابيل الإنسان وهو أسّوف الراعي في رواية نزيف الحجر لأنه رفض أن يدله على مكان الودان[*]، ويمثل هذا الفعل والمواجهة بين الأخوين، الوجه الآخر للمواجهة بين نمطين معيشيين الرعي/ أسّوف، والصيد/قابيل. إذ هذه العلاقة الدموية بين الإخوة الأعداء هي احدى جزئيات الأسطورة الأصلية التي استعارها ليؤثث بها نصه الروائي مضيفا عليها من عنده ما يجعلها أسطورة أدبية[2].

أسّوف هو بطل الرواية، رجل تعلم من والده عيش العزلة عن البشر، صارع الصحراء ورمالها وقحطها، صارع الجبال وصخورها والحيوانات، غزلانها ووديانها، عاش وحيدا بعد والديه في الصحراء، جاءه قابيل الشره الباحث عن اللحم والذي كانت نهايته على يده، ليكرر ما فعله قابيل بأخيه هابيل، وأسّوف رمز الرجل الأسطوري الذي جمع بين الدين والأسطورة وبين العبادة والطقوس الأسطورية والشعوذة وهو يمثل دور ظلم الإنسان للإنسان بما وقع عليه من قابيل وظلم الإنسان للحيوان ومعاناته من البشر، وأسّوف أظهره الكاتب في مطلع الرواية مصليا، وفي ختامها ضحية وفي وسطها خجولا منطويا، وتمسكه بالحياة، وصبره دليل على تمسكه بالصحراء. وقابيل هي الشخصية الرئيسية الثانية بعد أسّوف، والتي ربما كانت الرواية كلها تدور حول أطماعها وشخصيتها وفكرها.[3]

أما الودان، فهو حيوان أسطوري غير مستأنس، يقال أنه كان حقيقيا قبل انقراضه في القرن السابع عشر، يجمع في ملامحه بين شخصية الغزال والماعز والثور، له قرون طويلة متشعبة

---

[1]– إبراهيم الكوني: رواية نزيف الحجر، ص 152.

[*]–الودان: هو حيوان أسطوري غير مستأنس، يجمع في ملامحه بين شخصية الغزال والماعز والثور، له قرون طويلة، وله قوة خرافية عجيبة، وهو جميل المنظر وقوة شخصيته السحرية.

[2]– ينظر: مليكة سعدي: الصحراء والأسطورة في روايات إبراهيم الكوني، ص 107.

[3] –ينظر: الحياة الجديدة: دراسة تحليلية لرواية نزيف الحجر للكاتب إبراهيم الكوني، مقال منشور على الموقع: www.alhaya.ps/arch_page.php?ni تاريخ الإنزال:2015، تم الاطلاع عليه يوم 2018/10/20

قوية، وله قوة خرافية عجيبة، حبكت حوله الأساطير عبر عصور مختلفة. وصفه الكاتب بجمال منظره وقوة شخصيته السحرية، وهو تارة منقذ لخصمه، وتارة يكون سببا في هلاكه، كما حصل لأسّوف ووالديه. وهنا أرى ان العلاقة بين الودان والإنسان علاقة لحمية، وكأنها علاقة بين الإنسان والصحراء[1]. إذن فأسطورة نزيف الحجر القائمة على فعل قتل الإنسان لأخيه الإنسان تمثّل إحدى تنويعات وتكرارات الأسطورة الكونية التي تحكي حادثة القتل الأولى في تاريخ البشرية.

2- الأسطورة الطقوسية:

يروي فريزر أن الأسطورة قد استمدت من الطقوس فبعد مرور زمن طويل على ممارسة طقس معين وفقدان الاتصال مع الأجيال التي أسسته، يبدو الطقس خاليا من المعنى، ومن السبب والغاية، وتخلق الحاجة لإعطاء تفسير له وتبرير[2].

أي أن الأسطورة نشأت لتفسير الطقوس الشعبية عن أسلافها، وظلت تمارسها دون العلم بالقصة الأولى الناشئة عنها، ولكي تتضح لنا هذه الأسطورة أكثر يمكن ان نستدل ببعض الأمثلة من رواية السحرة لإبراهيم الكوني.

2-1-أسطورة التابو:

يعرف عن قوم الطوارق انهم يتحلون بالفضة ويتجنبون الحلي الذهبية، ولكن في روايات الكوني نكشف أن الذهب معدن محرّم ومنحوس، تحل اللعنة على كل من يتعامل به، فهو ملك الجن، أهل الخفاء، كما تسميهم نصوص الكوني، فالذهب والتبر تابو اجتماعي، يمنع الطوارق حيازته، والتعامل به، حتى أنهم يتشاءمون منه ومن نطق لفظه ويكنون عنه بلفظ المعدن المحرم أو المنحوس، أو النحاس تجنبا للفظة، مما يجعله تابو لساني أيضا، والتابو عند فرويد هو التصرفات والألفاظ التي تتعارف المجموعة الاجتماعية على تحريمها وتجنبها، والتشاؤم منها، وهو حسب فرويد: "يتفرع معناه إلى اتجاهين

[1]- ينظر: الحياة الجديدة: دراسة تحليلية لرواية نزيف الحجر للكاتب إبراهيم الكوني.

[2]- ينظر: فراس السواح: مغامرة العقل الأولى، دار الكلمة، بيروت، 1998، ص 12.

معاكسين، يعني لنا من جهة مقدس مبارك ومن جهة أخرى رهيب خطير، محظور ومدنس[1]. فقداسته تشكل له هيبة تحرم الناس الاقتراب منه، ودناسته تجعله ممنوعا، ويترتب على انتهاك التابو حلول اللعنة على الفرد والجماعة.

يقول إبراهيم الكوني في روايته السحرة: "... **فكيف خطر ببال أميرة تنزل ضيفا على نجوع الصحراء ان تنتهك الحرم وتلبس حليا مسبوكة من معدن النحس في يوم الميعاد والفرح؟**[2] فالأميرة هنا هي "تانس" ابنة الساحر "آكا" وقد أنجبها من جنية ففيها إذن عرق أهل الخفاء، لذلك لم تلتزم بناموس الصحراء أو أهل الخلاء، كما تسميهم روايات الكوني ولعل السبب في هذا الموقف من الذهب، الذي يعد من أغلى المعادن، ويدل على الثراء والرفاهية، هو إيمان أهل الصحراء، بقداسة الحياة الروحية، والقيم الرمزية وجمالية البساطة والزهد في الآمور المادية لأن استعمال الذهب في الصحراء يعني القضاء عليها كصحراء وتهديدها بوجود مصرف فيها هو أعلى صور الحضارة والعمران، فإذا كان الذهب رأس مال المجتمع المدني، فإن القداسة هي رأس مال المجتمع الصحراوي[3].

2-2-أسطورة القربان:

القربان هو تقديم أضحية إلى إله أو إلى وليّ أو ضريح قصد الإعانة على تحقيق طلب ما كالشفاء أو الإنجاب أو نزول المطر أو رفع المصائب أو تفسير النبوءة.

القرابين والنذر طقوس اجتماعية ورمزية تمارسها الشعوب الصحراوية في الكثير من أمور حياتها، لأن الإنسان يتوسل إلى القوى العليا عن طريق الصلاة والأضاحي والقرابين

---

[1]-ينظر: فرويد سيجموند: الطوطم والتابو، ترجمة بوعلي ياسين، دار الحوار، اللاذقية، ط1، 1983، ص41.

[2]-إبراهيم الكوني: رواية السحرة، ج1، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1994، ص185

[3]-ينظر: الغانمي سعيد: ملحمة الحدود القصوى، المخيال الصحراوي كما تجلى في الأدب الدوني، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص68

والنذر والحج والزيارة، ويستعين بها للحصول على البركة، ولتحقيق أغراضه[1]. ولا تكاد الرواية الكونية أن تخلو من هذه التيمة، ويكون القربان بشريا أو حيوانيا. فمثلا في رواية "السحرة" ترد المقطوعة التالية: "**في كل مرة يجيء فيها الميعاد، ويقام يوم الحرم، لابد أن ينصبوا كمينا ليأخذوا الإنسان قربانا**"[2]. وفي موضع آخر من رواية "المجوس" يقول: "...**وعندما توصل الأعيان إلى سن ميثاق حول القربان، أشرف بنفسه على إنجاز القرعة. وقع اختيار "أمناي" على صبية في السابعة عشرة وحيدة الأبوين...**" [3].

أما القرابين الحيوانية فهي الأكثر شيوعا وممارسة، في الكثير من الحالات لسهولة التضحية بها، لأن المجتمع الصحراوي مجتمع ذبائحي، فأول ما ترمي الذبيحة إلى إبطاله هو الفتن والمنافسات والأحقاد والشجارات بين ذوي القربى. بالذبيحة يتحقق الانسجام بين أفراد الجماعة، وتتوثق أواصر الوحدة الاجتماعية[4]. فمثلا في رواية "واو الصغرى" يقول الكوني: " **نحروا العنزة السوداء، وجاؤوا بغلام مشطور الرأس بشعر كثيف، ينتصب إلى أعلى، كعرف الديك. غمروا يديه بدم الأضحية، جروه إلى بنيان الضريح. وضعوا يديه على الحجارة، وكتبت الأصابع العشر العلامة التي حفظتها ذاكرة الأجيال. قالت الأصابع في العلامة المزبورة بالدم: هذا دمنا نحن يا مولانا. افتداه دم الابن هذا دم الابن يا مولانا افتداه دم العنزة السوداء**"[5]. فالشبه بين القربان البشري وما ينوب عنه من قربان حيواني عند القيام بإبدال ذبائحي أمر ضروري من أجل صحة القربان وقبوله.

---

[1]–ينظر: الجوهري محمد: علم الفولكلور، ج2، دراسة المعتقدات الشعبية، دار المعرفة، مصر، 1978، ص24.

[2]– إبراهيم الكوني: رواية السحرة، ج2، ص390.

[3]–إبراهيم الكوني: رواية المجوس، ج2، ص136.

[4]–ينظر: جيرار رينيه: العنف والمقدس، تر: سميرة ريشا، مراجعة جورج سليمان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط1، ص29

[5]–إبراهيم الكوني، رواية "واو الصغرى"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1997، ص81.

2-3-أسطورة النذر:

النذر هو وعد لكائن مقدس، إله أو وليّ، أو طوطم، بتنفيذ فعل إرضاء له، أو تقديم أضحية شكرا له، ويجب على الناذر الالتزام بعهده والوفاء بنذره، حتى تقضى حاجته، أو ليتجنب اللعنة التي تحل عليه إن خان المنذور له. وتتضمن فكرة النذور اقتصادا رمزيا من نوع خاص. فالنذر يتنازل عن قسط من رأس ماله المادي مقابل تحقيق أمنية أو رجاء، يرى أن للمنذور دخل في تحقيقه[1]. وغالبا ما يتمثل النذر في تقديم ذبيحة للمنذور، فيلتقي بذلك مع فكرة القربان.

جاءت ممارسة النذر في روايات الكوني، في شكل التزامات وقرابين، ومن ذلك نذر "أوخيّد" بطل رواية التبر، لنصب "تانيت"، إلهة الخصب والجمال عند الطوارق جملا سمينا، لمعافاة مهريّة الأبلق. فقال مبتهلا: "**يا وليّ الصحراء إله الأولين، أنذر لك جملا سمينا سليم الجسم والعقل. أشف أبلقي من المرض الخبيث واحمه من جنون آسيّار. أنت السميع، أنت العليم**"[2]. ولكن "أوخيّد" يقابل الحسناء "أيّور"، فيقدم لها جمل النذر مهرا، ويخون عهده للنصب، فتحيل عليه اللعنة، يقاطعه والده، ثم يعيش في فاقة تضطره إلى فراق زوجته وابنه، وفي النهاية يمزق جسده لأن الحنث بالنذر أمر شنيع ولا يغتفر في عرف الصحراء.

وفي رواية "المجوس" لإبراهيم الكوني، تحول "أوداد" إلى ودّان أو حلوله في جسم الودّان، حينما تجرأ ووصل إلى قمة جبل "إيديدينان" المسكون، فهو حدث غير مألوف يطرأ على الواقع المألوف.

ويأتي التفسير على لسان والدة "أوداد" التي جزعت لغياب ولدها، ولكنها لم تندهش لتحوله إلى ودّان. فتشرح هذه الحالة العجيبة للدرويش، وتفسر له سبب هذا التحوّل، وهو أنها نذرته للودّان حينما حبلت به، فهو الذي منحها القدرة على إنجابه شرط أن تنذره له

---

[1]-ينظر: الغانمي سعيد: ملحمة الحدود القصوى في أدب إبراهيم الكوني، ص74.

[2]-إبراهيم الكوني: رواية التبر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1992، ص30.

وحان الوقت ليسترد عطيته[1]. فتموضع التفسير العقلي في المحكي العجائبي ترفل بداخله المسوغات التي تسعى إلى إلغاء كل تردد ورعب، كما يأتي هذا المسعى لوصل الفوق الطبيعي والقارئ بالواقع والمألوف[2]. فوالدة "أوداد" تقدم تفسيرا يبدو عقليا بالنسبة لمجموعتها الاجتماعية التي تؤمن بالنذر، وتستوجب الوفاء وتستنكر الحنث به.

2-4-أسطورة السّحر:

هو ظاهرة تقوم على الإيمان بقدرة بعض الأشخاص على تغيير الأشياء بالتأثير عليها عن بعد، أو بواسطة تطبيق وصفات تتشكل من خلط مواد طبيعية وغريبة، وقراءة تعاويذ وأداء طقوس مصاحبة. ويؤمن الطارقيون ككل المجتمعات البدائية بالقدرات الخارقة لبعض الناس، فيرجعون إليهم في كثير من أمور حياتهم، إما لدرء مفسدة، أو لجلب منفعة، أو لأذية أحد، وأحيانا من أجل التدخل في الطبيعة ومناخها، مثلما حصل في واحة أدرار، بعد أن طال الجفاف وامتد الحر الجغرافي بأهلها حتى الخريف، إذ تطوع العراف "مهمدو" لتخليصهم منه، واستجلاب المطر من خلال تحضير وصفة سحرية، اعترف للشيخ "غوما" بمحتوياتها قائلا: "**حظرت هذه المفاجئة أسابيع بكاملها وأنا أجمع التعاويذ وأقرأ الأوراد في الثلاثة أيام الأخيرة، لم أر الضوء. المرحلة الأخيرة شاقة. تكرار آية الكرسي بالمقلوب عشرات المرات... مخ الديك، سفك دماء قطة أنثى سوداء و... أظافر طفل، لم يبلغ السابعة من العمر، ولم يمض على موته ثلاثة أيام**"[3]. نزل المطر في الواحة، بعد إتمام الوصفة، لكنه توقف بسبب خطأ في ترتيب الخلطة لضعف بصر الشيخ "غوما"، فقد أراق دم القطة قبل حرق التعويذة فوق صرة الأظافر، وهذا ما جرّ عواقب التوقف المفاجئ للمطر، ثم هجوم العقارب على الواحة، وهذا حسب التفسير الذي قدمه الساحر في رواية الواحة الذي تؤمن المجموعة التي ينتمي إليها بقدرته على التأثير في الطبيعة.

---

[1]-ينظر: إبراهيم الكوني: رواية المجوس، ج2، ص269.

[2]-ينظر: حليفي شعيب: شعرية الرواية الفانتاستيكية، المجلس الأعلى للثقافة، الرباط، ط1، 1997، ص38-39.

[3]- إبراهيم الكوني: رواية الواحة (الخسوف 2)، دار التنوير للطباعة والنشر، ط2، 1991، ص184.

تحكي الرواية نفسها قصة "أمود" مع صرّة السحر التي دست له بجوار عمود المنزل وكانت سببا في منع زوجته من الحمل لعامين وأرقها ومرضها. وحينما اكتشف الصرّة وأحرقها وهو يقرأ آية الكرسي، حملت زوجته. يقول الكوني: "... **من يومها آمن بالعرافين وقراء الغيب، وأدرك أن قدراتهم في مقاومة الشر خارقة**"[1]. فالعرافون هم من اكتشفوا أن مرض زوجته وعقمها سببه السحر المدفون بجانب بيته وليس سببا عضويا في جسمها.

ومن هنا تتجلى أهمية السحر في المجتمعات المغلقة، بحيث يكون الحل الوحيد حينما يعجز الاستشفاء بالطب الشعبي.

2-5-أسطورة النبوءة:

يتنبأ بعض سكان الصحراء بالأحداث قبل وقوعها، استنادا إلى علامات، أو رموز تعودوا عليها، مثل قراءة النبوءة في عظام القرابين، أو الإحساس بقرب الحدث، انطلاقا من تجربة مشابهة، مثلما تنبأ العراف "مهمدو" بالطوفان، وتنبأ الشيخ "غوما" بما يفعله ابنه "أماستان" في الهوجار، فرأى بممارسة طقوس معينة، تسمى "طريقة الاستحضار"، أنه يخون البلد، ويعمل مرشدا للمستعمر الفرنسي. وقد استخدم الشيخ لذلك طفلا طاهرا صادقا تمثل في حفيده "آيس" ومرآة جديدة، وقماشا أبيض يغطي به الطفل، وامرأتان تقرعان الطبول وترتلان التعاويذ بلغة "الهوسا"[*]، وتلقيان البخور في النار[2]. ويقول السارد في ذلك: "...**احتد قرع الطبول وارتفعت أصوات الزنجيات بالتراتيل وقراءة الطقوس بلغة الهوسا، ثم نهضت الزنجية العجوز وأتت بلحاف ثقيل وقالت تخاطب الطفل آيس. الآن عليك أن تتغطى بهذا. نظر الطفل إلى جدّه مذعورا، لكن الشيخ "غوما" أومأ له أن يفعل بإشارة من رأسه ثم تقرفض بجواره. أحكمت اللحاف بحفنة من البخور وأشارت للزنجيتين بالتوقف عن**

---

[1]- إبراهيم الكوني: رواية الواحة، ص39.

[*]-الهوسا: هي لغة تشادية تنحدر من العائلة الأفرو-آسيوية، تكتب بأحرف عربية، وهي اللغة القومية في النيجر.

[2]-ينظر: إبراهيم الكوني: الخسوف1، البئر، دار التنوير للطباعة والنشر، تاسيلي، ط2، 1991، ص28-29-30

قرع الطبول وتلاوة التراتيل... وقالت وهي تطفئ مصباح الكيروسين: آيس الآن تستطيع أن تنظر في المرآة..." [1].

وفي موضع آخر على لسان "آمنوكال" زعيم الواحة في رواية برّ الخيتعور[*]: "... **إذا تم تشييد البنيان، واكتمل قيام الجدار، أتى الموت، فرأى أهل العقل في النبوءة خطرا على حياة "آمنوكال"، ونصحوه بهدم كل حجر جديد يضعه على البنيان في جدار السور الجديد**"[2]. ولذلك كان "آمنوكال" يهدم بالليل ما يبنيه الحكيم بالنهار خوفا من النبوءة المشؤومة، وتمثل النبوءة في قراءة عظام القربان من قبل العراف.

وفي رواية السحرة يسرد "بورو" أحد أبطالها تجربته في الطفولة مع النبوءة: "... **وكان سحرة القبيلة وعرافها يستعينون بعظام الذبائح على قراءة النبوءة التي رأوها في أسراب الطيور المهاجرة. أو هكذا ظن في ذلك السن المبكر. فكان عليه أن يعيش أهوالا كثيرة حتى يعرف الذبائح، لم تنحر على شرف السحرة أو من باب الاحتفاء بالعرافين العائدين بالنبوءة، ولكنها قرابين ضرورية لاستكمال شعائر النبوءة، ومفتاح سحري لا غنى عنه لفك الرموز التي رسمت الطيور إشارتها في سماء الغيب**"[3].

ونلاحظ أنه لا تخلو رواية من روايات "الكوني" من موضوع النبوءة وأساليبها وطرق تفسيرها، ولعل ذلك راجع إلى نمط تفكير أهل الصحراء وعيشهم.

3-الأسطورة التعليلية:

الطبيعة مليئة بالظواهر التي أثارت اهتمام الإنسان ودفعته إلى التأمل، بحثا عن تعليل لها ولما كان الإنسان البدائي يمتاز بالنزعة الإيحائية، فقد علل الكثير من الظواهر، انطلاقا من

---

[1]- ابراهيم الكوني: رواية البئر، ص 30.

[*]- الخيتعور: هو كل شيء يتغير ويضمحل ولا يدوم أي السراب المضمحل.

[2]- إبراهيم الكوني: بر الخيتعور، المؤسسة العربية للدراسات والشر، بيروت، ط2، 1999، ص 69.

[3]- إبراهيم الكوني: رواية السحرة، ج1، ص 85

مذهبه، فالأسطورة التعليلية تعيد إلى أحداث خارقة، شارك فيها الآلهة بعض الظواهر الطبيعية التي تصادفها[1]. أي إن التفكير البدائي نتيجة لبعده عن التفسير العلمي، كان يعلل الظواهر الطبيعية بقصص غيبية وأحداث ماورائية، تشارك فيها كائنات خارقة. وعلى سبيل المثال:

3-1- أسطورة عبادة تانيت:

يرد في رواية بر الخيتعور أن السلف نصبوا المرأة الكاهنة في ذلك الزمن البعيد فتكلمت بالأنباء الخفية... وكانت تأخذ النبوءة من الأرض، ولم يمض زمن قصير حتى نصب أهل الصحراء كاهناتهم زعماء على قبائلهن. فعرف التاريخ أعظم الكاهنات دهاء كالكاهنة "آنهي" التي تولت حكم قبائل صحراء الشرق كلها.

تقدم لنا هذه الأسطورة معلومات تاريخية يتوارثها الخلف عن السلف في الصحراء ويتناقلونها بالتواتر، فالذاكرة الشفهية الجماعية هي مصدر التاريخ لدى الأقوام البدائية، كما أنها تنتمي إلى أساطير الآلهة.

عرف التاريخ كاهنة أكثر دهاء وحكمة في صحراء الشمال، تميزت ببطولاتها في صد الغزاة عن صحاري الشمال. وقادت قبائل الغرب إلى بر الأمان بعدما كانت من سيوف غزاة كادت أن تبيدها، وهي الكاهنة "تين هينان"[2].

تخبرنا الأسطورة أنه في ذلك الزمان لم يتوقف الأقوام عن البحث عن سر المرأة.. بشرت هذه الملة بامرأة أعجوبة، ونادت بها إلها، وعبدتها، وأقامت لها في كل مكان أنصاب، ركع الناس لها، وابتنوا من الحجارة شعارا بأركان ثلاثة. ذلك أنهم أرادوا أن يقلدوا ذلك السر الذي ظنوا أن المخلوق الغامض يبدع به الحياة... وسموا هذا الشعار بالأركان الثلاثة "تانيت".

---

[1]- ينظر: مليكة سعدي: الصحراء والأسطورة في روايات إبراهيم الكوني، مقاربة انثروبولوجية، ص 76.

[2]- ينظر: ابراهيم الكوني: رواية بر الخيتعور، ص 205، 207

هذه الديانة عمت فيما بعد، ونجد في الناموس الصحراوي ما يؤكد هذا الزعم، كما نجد حياة الصحراويين على لسان سارد الأسطورة: "**فكيف تستنكرون بعد هذا ان ينتصر لها الناموس، ويجعل أبناء المرأة، لا أبناء الرجل أهل السلطان، إن كانت المرأة هي الناموس الذي سن وصايا الناموس؟**"[1].

ويفاجئنا "الكوني" في سرده لهذه الأسطورة بانتصاره للمرأة، واعترافه بإنجازاتها التي تقرها لها الثقافة الصحراوية التارقية، فيرجع إلى غير عادته رواياته، عن موقفه العدائي للمرأة ونظرته الدونية لها، ويعود ذلك إلى أصوله المنتمية إلى مجتمع أمومي، تحتل فيه المرأة مكانة خاصة.

إذن فهذه الأسطورة، تعلل انتقال النظام في الصحراء إلى المجتمع الأمومي، وتقدير المرأة وإجلالها ونقلها من الكهانة إلى الزعامة إلى الألوهية.

3-2-اسطورة بعير الصحراء:

وهي دخول البعير الذي على رأسه قرنين مخيفين، الصحراء حاملا على ظهره مخلوقا ولا يسمي النص هذا المخلوق الذي يتضح انه إنسان في ذلك الزمان، كانت رؤوس الودان عارية من القرون، فتلك الصفة في الودان جعلته سهل المنال لذلك المخلوق، الذي لا يشبع من صيده بالحراب والسهام والأفخاخ ولم يقتنع ذلك المخلوق ما يملأ جوفه من الودان، بل صار ينحرها من طلوع الشمس إلى غروبها، يجفف لحمه ليقايض به بضائع أخرى.

تشير الأسطورة في رواية "السحرة" إلى العداء بين الإنسان والحيوانات التي يستغلها من اجل عيشه، والتي يبيدها بحملات صيده جشعا لا حاجة فحينما افرط الإنسان في صيد الودان بغرض التجارة، فزعت قبيلة الودان وخشيت من الانقراض، فرفعت أمرها إلى ولي أمرها الجبل الذي أومأ إلى الجمل الذي خاطب قطيع الودان واقترح عليه المقايضة التي تقيه

[1]-إبراهيم الكوني: رواية بر الخيتعور، ص 207

شر المخلوق الذي يكاد يبيده، وهي أن يعيره الودان خياشيمه ليشم بها الريح ويتسقط أنباء المطر، ويعطي الودان قرونا يدافع بها عن نفسه[1] يقول السارد على لسان البعير: "**المقايضة التي حملت المخلوق الشقي على إبادة قبيلتكم، فيها سر بقائكم أيضا أعيروني خياشيمكم لأشم بها الريح وأتسقط أنباء المطر وسأعطيكم قرونا تدافعون بها عن أنفسكم**"[2]، ومنذ ذلك اليوم صار للبعير أقوى خياشيم يتنبأ بها عن المطر، وصار للودّان ونسله أقوى قرون يدافع عن نفسه، ويتقي إبادته من المخلوق الذي صار له عدوا.

نلاحظ ارتباط الوقائع في هذه الحكاية بالتعليل غير المنطقي أو ما يسميه "ميخائيل بختين" في دراسته للرواية، بالتعليل الكاذب الذي لا يقوم على الرابطة السببية والمنطقية بين الوقائع، بل العلاقات تخييلية بحتة، وما يجعلها هنا تعليلات أسطورية، هو ارتباطها بأفعال خارقة عجيبة خارجة على واقع البشر.

ترتبط هذه الأسطورة بالبيئة الجغرافية الصحراوية، ويمكن عدها ضمن الأساطير التعليلية، فهي تفسر امتلاك الودّان لأقوى القرون، وامتلاك البعير لأقوى خياشم، وذلك حسب الثقافة البيئية لسكان الصحراء الكبرى التي تسعى لتعليل ظواهر الطبيعة واختلاف صفات مخلوقاتها. وتدين هذه الرواية جشع الإنسان وأنانيته واعتدائه على الحيوانات التي تشاركه الحياة في نفس البيئة. لعل هذا ما يعلل بقاء الأسطورة في الثقافة التارقية، واستمرارها جيلا بعد جيل، حتى وصلت إلى تدوينها في نصوص روائية لأحد أبنائها.

4-الاسطورة الوعظية:

هناك من الأساطير ما يدور موضوعها حول الحث على التزام الحكمة وبناء القيم وتأصيل علاقة سليمة بين الإنسان وبين الرب، وتحذر من مغبة عصيانه أو التمرد عليه، أو

[1] – ينظر: إبراهيم الكوني: رواية السحرة، ج2، ص 334.

[2] – المصدر نفسه، ص 335.

منازعته في دوره ومقامه وقدراته[1]. وتسعى بعض الأساطير الوعظية إلى تثبيت مقام القوى الخيّرة في النفوس، والتحذير من التعالي عليها. ومن الأساطير الوعظية التي ذكرها "إبراهيم الكوني" في كتابه هي كالتالي:

4-1-اسطورة واو الكبرى:

يبدأ السارد سرد الأسطورة في رواية "السحرة" بإشارة زمانية تدل على المفارقة الزمنية والمكانية بين ما كان وما هو عليه الآن، وهي تدل على البعد والاختلاف عن الزمن الآني الحاضر، يقول السارد: "**كانت السيول السخية التي تتدفق من الجبال الجنوبية تندفع لتصب في "تارات**"[2]. وتبين هذه الصفة خصوبة أرض تارات وانتعاشها بوفرة مياهها مما يمهد الطريق لتنوع الكائنات فيها. فقد كانت بمثابة جزيرة صغيرة وسط بحيرة عظيمة في القديم، وقد تحولت تلك البحيرة الآن إلى بحر من الرمال. أي أن هذا المكان الخصب، لم يعد له وجود، ويخبرنا السارد أن السماء كانت تجود بالماء في سخاء، جرت السيول في أنهار من الجبال لتحفر في قلب الصحراء بحيرة هائلة، حول ضفافها، استوطنت القبائل، وأسست حضارة، ونظموا الأشعار لسعادتهم، ثم اكتشفوا المعادن وتعاملوا بالمبادلات التجارية وفي المبادلة ظهر التّبر[3].

ويعدّ ظهور التبر مفصلا هاما في تاريخ المنطقة، فهو معدن لئيم كان بداية الشقاء بالمدينة عندما آثرته النساء، وتنافس الرجال في طلبه من أجلهن، فتشاجروا وقتل بعضهم بعضا لأول مرة.

إن هذه الأسطورة تربط بين ظهور المعدن المشؤوم، وجريمة القتل الأولى، وتحذر من مغبة الطمع في الكسب والتملك، وتدعو إلى الزهد لضمان حياة سعيدة وهانئة. لأن المعدن المشؤوم عواقبه وخيمة، إذ يجعل الجريمة تتفشى بين الناس، فتنقلب الطبيعة الخصبة

---

[1]- ينظر: جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، قسم الدراسات والبحوث، الأسطورة توثيق حضاري، ص 60.

[2]- إبراهيم الكوني: رواية السحرة، ج2، ص 299.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص 300.

والحياة الرغيدة، لأن الأرض شربت الدماء، فاستنكرت السماء، وتوقف المطر، ونضب الماء، وبدأت البحيرة العظيمة تتبخر، ثم سلطت عليهم السماء رسول القبلي (الرياح الجنوبية)، الذي أزالها من الوجود، وكانت النهاية أن اندثر الوطن وتوارت "واو الكبرى" تحت التراب[1].

إذن هذه الأسطورة التي تحكي قتل الإنسان لأخيه الإنسان، كانت استجابة وخضوعا لرغبة المرأة وسعيا لإرضائها بجلب معدن التبر المشؤوم، فكان العقاب بغياب الخصب عن الأرض الرغيدة، وتسليط القبلي عقابا من السماء حتى تختفي ملامح المدينة الأسطورية "واو الكبرى".

4-2-أسطورة واو(الإخبار الأول):

في رواية المجوس تحكي هذه الأسطورة عن ذلك المهاجر الضائع الذي أنقذته مملكة "واو"، التي تروي العطشان، وتطعم الجوعان، وتنقذ التائه في الصحراء. تتوفر هذه الأسطورة على مقدمة تبين شروط الدخول إلى "واو". هذا المكان العجيب الذي لا يمكن لأحد أن يدخله، إلا من تاه في الصحراء، وهدّه العطش، ويئس من النجاة، فتخلى عن الكبرياء، ونزع لثامه وثيابه[2]. أما إذا تمسك بكبريائه، فإن مصيره الموت لا محالة، ولا يمكن ان تستقبله هذه المملكة الخفية، وهذه الجنة المفقودة.

يتوارث أهل الصحراء شروط الدخول إلى "واو" من الناموس، الكتاب الضائع آنهي الذي ينص على ان "واو" تهرب من الباحثين عنها وتجري وراء اليائسين منها ولهذا وصل إليها المهاجر التي تحكي عنه الأسطورة فهو نسيها ولم يطمع في إنقاذه، ويئس من حياته فنزلت عليه "واو" من السماء، وأرست أسوارها عند قدميه، وانتشله خزنتها.

---

[1]- ينظر: إبراهيم الكوني: رواية السحرة، ج2، ص300، 301.

[2]- ينظر: إبراهيم الكوني، رواية المجوس، ج1، ص 310، 314

تصف الأسطورة المملكة العجيبة بعد أن دخلها المهاجر الضائع وتمتع فيها بأشكال الرفاهية: فراش من ريش، وسائد من قطن، جدران شفافة، ألسنة من العشب، زهرات الرتم خيوط من الحرير الأحمر، غناء الطيور، غابة من البساتين تمتد حتى الأفق. وفيها من الشخصيات العجيبة: الشيخ الوقور الذي يقرأ خاطر الضيف ويفهمه قبل ان يتكلم، وطابور الحوريات اللواتي يرتدين لباس حرير شفاف ملون ويتحلين بالخلاخل الذهبية وعقود الجواهر وأساور الفضة وأقراط الذهب المطعمة بالأحجار الكريمة الزرقاء، وهن يخدمن المهاجر الضائع الذي استضافته "واو"، ويقدمن له أطباقا ذهبية مليئة بأصناف الطعام الشهي، وملاعق فضية وكؤوس ذهبية مليئة بالشراب المتعدد الألوان. وهن مثل الشيخ الوقور يفهمن لغة الخواطر. أكل المهاجر وشرب وشكر إله السماوات وصلى ركعتين، وهذا دليل على الأسطورة حديثة العهد تعود إلى زمن وصول الإسلام إلى الصحراء الكبرى، كما ان أوصاف مملكة "واو" الأسطورية العجيبة المفقودة، تقترب من أوصاف الجنة التي يعد بها عباده الصالحيين[1].

شيع الشيخ المهاجر حتى أبواب السور، فوجد هناك ثلاثة جمال محملة بالبضائع والزاد. وهنا تحرك الوسواس الخناس فطلب المهاجر زاد من الحطب فكان له ما أراد. خرج من "واو" وعند المغيب غرس أول علامة تهدي إلى المملكة العجيبة. تملكه الفضول وقرر ان يضع إشارات وفي هذه اللحظة خان العهد لأنه قرر ان يفشي السر.

وهنا تصل الأحداث للذروة للمرة الثانية، فيتدخل الراوي لينبه المتلقين، وهو النذير في القبيلة ويسمع الناس وأهل الصحراء الموعظة المستسقاة من هذه الأسطورة وهذا يدل على أنها من الأساطير الوعظية التي تحمل فيها قيما أخلاقية عامة تصلح لأي مكان وزمان ويقول النذير: "**الفضول رذيلة لا تقل بشاعة عن الجشع**"[2].

---

[1]– ينظر: ابراهيم الكوني، رواية المجوس، ج1، ص 310، 314.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص 314، 318.

4-3- الإخبار الثاني لأسطورة "واو":

وفي رواية المجوس نجد المهاجر الثاني تاجرا، فقد السبيل إلى البئر وهو في رحلة إلى "زويلة"، حيث تخلى الرجل عن جماله وترك طريق القوافل ظانا أنه سيختصر الطريق إلى الواحات. فقام وتحرر حينها عن ملابسه وصاح بيأس: "**يا رب... فاعترضت** "**واو**" **طريقه ووجد نفسه في الفراش الوثير**"[1]. ويعيد السارد وصف "واو" بنفس الأوصاف التي ذكرها في الإخبار الأول للأسطورة، وأضاف إليها مجموعة من الرجال الذين لا تفارق الابتسامة عيونهم، وسيل الماء بخريره العذب الذي أثار فضول الرجل أي التاجر، فسأل الرجال وأجابوه بأنه النهر الخالد.

استضافه الغلمان بكؤوس شاي ذهبية، ويحاول المهاجر تذكر رائحة الأعشاب البرية التي انبعثت من كأسه، ويقارنها بما مر به في حياته السابقة وهنا يذكر أماكن واقعية في الصحراء، "الحمادة الحمراء" وجبل "نفوسة". ويأخذه طعم الشراب إلى طواف كل الصحراء من "غدامس" إلى "كانو"، ومن "تنبكتو" حتى "زويلة"، ومن "تامنغست" حتى "القيروان".

ينبهر التاجر بشيئين هما النهر الذي يسمح ركضه خلف الأسواق بمشاهدته في الصحراء التي لم يكن يرى فيها إلا الأسواق، والكأس الذهبية المرصعة بالجواهر، سرعان ما ينسى النهر حينما يستيقظ في نفسه وحش الاكتناز وغول الطمع في امتلاك الكؤوس المرصعة والمضاربة بها لدى وجهاء العثمانيين.

لقد نسي التاجر الطّماع أن اقصى حلم كان يراوده حينما تاه وكاد يموت عطشا، هو ان يتم إنقاذه بقطرة ماء نسي أن "واو" استضافته بكرم وسخاء وطيب خلق أهلها، فسولت له نفسه الأمارة بالسوء أن يسرق كؤوسها[2].

---

[1]- إبراهيم الكوني، رواية المجوس، ص 314، 318.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص 318

انقضت أيام الضيافة الثلاثة وخرج التاجر من "واو" وفي جيبه ثلاثة كؤوس، وحمله وجهاء "واو" الأسخياء بزاد وفير. قطع مسافة ثلاثة أيام قبل ان يكتشف ان النحاس حل في الكؤوس بدل الذهب وحلت حبات الخرز مكان الجواهر.[1]

يختم الراوي النذير سرد الأسطورة فيصيح في الناس، فيا أهل الصحراء: **إذا فتحت لكم "واو" أبوابها فاخرجوا منها عراة لأنكم عراة دخلتم إليها**"[2]. وفي هذه العبارة دعوة إلى القناعة والاعتراف بالجميل ونبذ الطمع، بذلك تدخل هذه الأسطورة أيضا ضمن الأساطير الوعظية التي تهدف إلى محاربة الأخلاق السيئة وتقويم سلوك الإنسان.

5-الأسطورة الرمزية:

تشتمل على بنية رمزية أو بالأحرى يمكن قراءتها قراءة رمزية، فالآلهة أو الأشخاص الرئيسيون يرمزون إلى مفاهيم مجردة. وللأسطورة منطقها الرمزي الذي تتعامل به مع معطيات الواقع والفكر[3]. أي أنها تتخذ من الأمور الطبيعية الموجودة في الواقع رموزا ومفاهيم مجردة.

استعار الإنسان رموزه الأسطورية "من الطبيعة لتدل على الأنماط الأولية كالشمس والبحر، والكهف والغابة من غير أن يثبت على المرموز وليلازمه دائما"[4]. أي أن مظاهر الطبيعة التي ترد في الأسطورة تشكل رموزا دالة على الأنماط الأولية. ولكن المرموز يمكن أن يتغير من أسطورة لأخرى حسب ثقافة الشعب المنتج لها، ونمط عيشه. وترى مدرسة التحليل النفسي في الصور الأسطورية رموزا أوديبية، ومثال ذلك: "أن الطّوطم يرمز إلى

---

[1]- ينظر: إبراهيم الكوني، رواية المجوس، ج1، ص 318.

[2]- المصدر نفسه، ص 318.

[3]- ينظر: بشور وديع، الميثولوجيا السورية، على الموقع: http://www.goodreads.com تاريخ الإنزال:2013/11/28 تم الاطلاع عليه يوم 2018/10/25

[4]- رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، (عربي، إنجليزي، فرنسي)، دار الحكمة، الجزائر، 2000، ص 177.

صورة الأب[1]. أي إن التحليل النفسي للأسطورة، والتفسير النفسي لنشأتها وغايتها ينصب على ما تحمله من رموز تتعلق بعقدة أوديب المستخرجة من أسطورة الملك أوديب التي استثمرها "سيجموند فرويد". ويقترب هذا الفهم من معنى الطوطم في كتابات الكوني الذي يرى في الودان أبا للعشيرة، ونبيّن ذلك فيما يلي:

5-1-أسطورة الطوطم:

الطوطم[*] هو كائن مقدس في عرف شعب ما، ويغلب عليه ان يكون نوعا من أنواع الحيوان، وهذا يوجب على الأفراد ان يحيطوا طوطمهم بهالة من التقديس فإن كان حيوانا امتنعوا عن إرهاق دمه، وإذا كان نباتا تباركوا به...

يعرف "فرويد" الطوطم بأنه: "الأب الأول للعشيرة، ومن ثم الروح الحامية له، والمعين الذي يرسل إليها الوحي...، وهو أيضا شجرة أو قوة طبيعية (مطر، ماء)..." [2]

في رواية "السحرة" يتخذ أهل الصحراء حيوان الودان طوطمهم، فهم يسمونه الحيوان المسكون، ويلقبونه "بآمغار" ومعناها الشيخ والزعيم، وينسجون حوله الأساطير، ويعتقدون بحلوله في البشر، وحلول البشر فيه، ولا يشكون في حلول اللعنة على من تسول له نفسه باصطياده، أو أكل لحمه، ويوصون من اضطر إلى فعل ذلك بتحصين نفسه بالتعاويذ درء للشؤم واللعنة. ويقوم صائد الودان بطقوس تحميه من لعنة الحيوان المسكون، يقول "الكوني" في هذا الصدد: "**تلحّف بالجلود، نصب فوق رأسه قناع الودان، فارتفع التاج المهيب المكون من قرنين معقوفين إلى الوراء ثم إلى الأمام مرة أخرى... تابع الخطوط التي جسمت الملامح، وبعثت أمغار من منفاه في ظلمات أغرم نودادن... ولم يمزق القناع، لم**

---

[1]- ينظر: عبود حنا: النظرية الأدبية الحديثة والنقد الأسطوري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ص 49-50.

[*]- الطوطم عند الطارقيين هو الودان، وهو عبارة عن ثور وحشي الذي ذكره امرئ القيس في معلقته حين قال:

"فعادى عداء بين ثور ونعجة *** دراكا فلم ينضح بماء فيغتسل

[2]- فرويد سيجموند: الطوطم والتابو، ص 23.

يمط لثام الكتان عن البئر، عن السر عن الوطن الخفي، لأنه آثر ان يتحصن بقراءة التعاويذ"[1].

وهذه الطقوس ورثها الصحراويون عن أسلافهم، يقال: "**أن الأجداد كانوا يتشبهون بالطريدة قبل الخروج للصيد طلبا للفوز، سمعت السحرة يقولون أنهم يتنكرون في قرون الودان لهذا السبب**"[2]. ولعل السر في اختيار التشبه بالطوطم ضمن طقوس الصيد، فهو السعي للتماهي معه، والارتفاع إلى مستواه، فتختفي بذلك هالة القداسة التي تحيط به، وبذلك يبيح الشخص لنفسه خرق جوهر الطوطمية، ويتمكن من اصطياد طوطم دون ان تحل عليه لعنته.

نجد في رواية نزيف الحجر لعنة الودان تحل على والد أسّوف لأنه اضطر إلى صيد الودان، الحيوان المقدس طوطم عشيرته، دون ان يحصن نفسه بالطقوس الخاصة المتعارف عليها، أو يتلو التعاويذ الواقية، فخان النذر ونقض العهد، "**اضطر ان يخالف النذر ويصطاد... بكى قبل ان يفعل ذلك... في الصباح ذهب وعاد بودان كبير. سلخناه وأكلناه بعد جوع طويل، قال إنه خان النذر وستعاقبه روح الجبل على ذلك...**"[3]. فأبناء الطوطم يقطعون عهدا على أنفسهم بحماية الطوطم، وتحريم صيده، ولا يقوم بصيده إلا من اضطره أمر يفوق طاقته. ونلاحظ في الرواية نفسها كيف يتحصن آكل لحم الودان، حتى لو كان قطعا مجففة، بالقلائد والتمائم الواقية من نحس آكل لحم أب العشيرة.

يؤكد اتخاذ الشعب الصحراوي للودان طوطمهم إضافة إلى ما تقدم حول طقوس صيده ظاهرة حلول الإنسان في جسم الودان أو العكس، كما حل والد أسّوف في رواية "نزيف

[1]– إبراهيم الكوني: رواية "السحرة، ج1، ص 208.

[2]– المصدر نفسه، ص 223.

[3]– إبراهيم الكوني: رواية نزيف الحجر، ص 49.

الحجر" بعد وفاته في جسم الودان الذي انقذ الابن أسّوف من وقوعه في الهاوية، ويحل الودان أيضا في جسم أسّوف فيستطيع الهرب من قبضة الطليان بأعجوبة.

يقول الكوني في روايته: "**لقد حل الأب في الودان، والودان حل فيه، هو والمرحوم والودان العظيم شيء واحد**"[1].

فالودان باعتباره طوطما فهو يحمي أبناءه بطرق مختلفة من بينها الحلول، وقد احتفت روايات الكوني بكثرة هذه الظاهرة.

ومن قصص الطوطمية في روايات الكوني أيضا يروى في رواية المجوس أن الدرويش نفسه رأى صيادا من النجع، انخطف وحل في الودان، عرف النجع أماسيس أمهر صيادي الودان، لا يخرج إلى الجبل إلا ويعود محملا جماله بشاتين أو ثلاث، قبل حادثة التحول لاحظ الجميع تحولا آخر في سلوك "أماسيس"، أفرط الشقي في الصيد وأباد القطعان في سفوح "أكاكوس". فقد حلت لعنة الطوطم على منتهكه، فالحلول في هذه الحالة كان عقابا على التعدي على الطوطم، ولم يكن أسلوب حماية كما في المثال السابق الذي التزمت فيه الشخصية بعهد الطوطمية[2].

لم يكتف أهل الصحراء باتخاذ الودان طوطما لهم بل كان العقرب أيضا طوطمهم على الرغم من انه يشكل خطرا وتهديدا لهم، إذ تقوم الأم بالمؤاخاة بين رضيعها وبين العقرب كي لا تلدغه شرط ان يحفظ عهد الأخوة، فلا يبدأ بأذيتها، ولهذا نجا الشيخ غوما من لدغة العقارب حينما هاجمت واحة "أدرار"، والسر ليس في طقوس التآخي التي تحتكم إليها كل أم في الصحراء، لتحمي وليدها من هذا العدو، فتحلب الحليب من ثديها في إناء، وتلقي فيه بالحشرة، وتتركها تسبح حتى الصباح فترمي بالإناء في كوم القمامة، وتطلق سراح السجينة

[1]– إبراهيم الكوني: رواية نزيف الحجر، ص 75.

[2]– ينظر: إبراهيم الكوني: رواية المجوس، ج1، ص 117.

فتربط بينها وبين الوليد بدماء الأخوة[1]. بل لأنه الوحيد الذي لم يخن عهد الأخوة، فلم تسول له نسفه بأذية العقرب طول حياته.

ومن هذه النماذج الطوطمية المختلفة، والأخوة بين الإنسان والحيوان نشعر بأن الكاتب يعمل عن وعي وعن قصد إلى نشر هذا الفكر الذي تتبناه عدد من جمعيات في العصر الحالي، وآمنت به الكثير من الشعوب البدائية التي تشكل الغيبيات والماورائيات، والخوارق جزءً هاما من ثقافتها مثل الإيمان بالسحر.

6-أسطورة البطل المؤله:

ان هذا النوع من الأسطورة، يعتبر الآلهة المسير الأعلى لشؤون الإنسان، فهي التي تتحكم في مصيره ومستقبله، فلا يجوز للإنسان ان يتعدى على ذلك، فقد حسمت الأساطير الآلهة فيها، ولا يجوز للإنسان أن يدعيه لنفسه من حقوق. "وأسطورة البطل المؤله هي التي تصور لنا بطلا يحاول الوصول إلى معاني الآلهة، ولكن صفاته الإنسانية تشده إلى العالم الأرضي"[2]. فالبطل هنا هو إنسان وإله في نفس الوقت، إلا انه يحب ألا يجرؤ ويتعدى حدوده بالصراع مع الآلهة لأنها سوف تنزل عليه اللعنة الأبدية التي تعبر عن تمرده. ومن أمثلة ذلك نذكر:

6-1- أسطورة الأرنب والودان:

ورد في كتابات الكوني أن الطوارق يتطيرون من الأرنب، ويعتبرونها نذير شؤم ويتجنبون النطق باسمها حتى صار لديهم بمثابة طابو لساني، وهم يكنون عنها بالكثير من الألقاب مثل قولهم "الجبانة"...، ويرجع سر تطيّرهم إلى أسطورة يتوارثونها ملخصها: "أن أمغار الودان حاكم "آغرم نودادن" (مملكة الودان)، أرسل الأرنب كي تبلغ البشارة إلى أهل الصحراء، وهي انهم سيعيشون سعداء إلى الأبد، واذا ماتوا فسيعيشون خالدين في آغرم

[1]- ينظر: إبراهيم الكوني: رواية الواحة، ص 220، 221.

[2]-رابح العوبي: أنواع النثر الشعبي، ص 21.

نودادن ولكن الأرنب الحسود نقل الوصية مقلوبة، فأقام أهل الصحراء المناحات، ونحروا القرابين كي يخففوا من سوء مصيرهم. وحينما علم أمغار بمكيدتها ضربها على وجهها وشق شفتيها، ولعنها بأعلى صوته، وكتب عليها أن تكون أجبن المخلوقات[1]. وليس التطيّر من الأرنب ظاهرة اجتماعية يختص بها الطوارق وحدهم، بل تشترك فيها الكثير من الشعوب مثل شعوب ضفاف نهر الأمازون الذين هم بدورهم يتطيّرون من الأرنب ومن التوائم من ذوي الشفاه الشرماء، فليفي ستراوس يروي أسطورة حول التشاؤم من الأرنب عند هؤلاء الشعوب[2] وهي ان كانت تختلف في حكايتها وشخصياتها عن الأسطورة التارقية إلا أنها تتفق معها في كون البطل المخادع فيها هو الأرنب.

ونجد مثل هذه الأسطورة برواية أخرى في كتاب نبيلة إبراهيم مع تغيير طفيف، فبدل أمغار (الودان) في رواية الكوني للأسطورة تضع نبيلة إبراهيم الأسطورة العالمية التي تجعل القمر يرسل الأرنب رسولا إلى الناس، فتغير الرسالة خطأ أو تعمدا وبذلك تكون سببا في محنة الموت التي تصيب الإنسان[3]. فهناك تطابق بين الأسطورة العالمية وأسطورة الطوارق حسب رواية الكوني، كما ان كلا من القمر وأمغار هما إلهين لدى الطوارق.

---

[1]– ينظر: إبراهيم الكوني: رواية السحرة، ج1، ص 32، 33.

[2]–ينظر: ستراوس كلود ليفي: الأسطورة والمعنى، ترجمة وتقديم د. شاكر عبد الحميد، مراجعة د. عزيز حمزة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986، ص50–51.

[3]– ينظر: نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، ص59.

الفصل الثاني

البنية الوظيفية للأسطورة

1-الوظيفة المعرفية (التفسير، التأويل، التأمل)

2-الوظيفة العقائدية أو الإيديولوجية

3-الوظيفة التكفلية

4-الوظيفة النفسية

تعمد الأسطورة إلى خلق نظامها الخاص، وقد جاءت بعد نوع من التعديل والتقنين لأنواع من الميثات[1]، والميثة معتقد، والمعتقد يستدعي الطقوس والمراسيم، والطقوس والمراسيم ذات دلالات اجتماعية ودينية، كلما اتسعت وظيفتها قننت وأصبحت في شكل فني، وكما لكل شيء وظيفته، وكذلك الأسطورة حيث تعددت وظائفها بتعدد الآراء، وهناك من اعتبرها مجرد قصص للمتعة، أي لا فائدة منها، وإذا اعتبرناها ذات فائدة فهي فائدة سلبية، وإن يكن كذلك فحتى هذه الأسطورة تعتبر وظيفة ذات فائدة وهذا ما أكسبها ثراء وساعدها على بلوغ التأثير المناسب على نفس المتلقي والجمهور.

إن اختلاف وظائف الأسطورة وتعددها يعود إلى تنوع آراء الكاتب، وذلك بتعدد المدارس والمناهج ويمكن تقسيم وظائفها على النحو التالي:

1-الوظيفة المعرفية (التفسير، التأويل، التأمل):

وهي محاولة تبسيط الظواهر للوصول إلى حقيقة الحاضر، وذلك لتأمين المستقبل "فالأساطير هي الأدوات التي نناضل بها على الدوام كما يقول "شورر" من أجل أن نتفهم تجربتنا، فالأسطورة صورة عريضة، ضابطة تضفي على الوقائع العادية في الحياة معنى فلسفيا، أي أنها تتضمنن قيمة تنظيمية بالنسبة للتجربة"[2]، فالتجربة في الحياة هي التي تساعد الأسطورة على التأمل وبالتالي تفسر هذه الأخيرة معنى الماضي في وقتنا الحاضر، "والأسطورة وسيلة حاول الإنسان عن طريقها أن يضفي على تجربته طابعا فكريا، وأن يخلع على حقائق الحياة العادية معنى فلسفيا"[3].

ففي القديم لم يكن باستطاعة الإنسان أن يجعل الأسباب والنتائج منطقية، فكان يصفها في رموز وفي لغة مفهومة لدى العقل البدائي لتكون مرآة تصور التفكير الخاص

---

[1]- ينظر: نور ثروب فراي، نظرية الأساطير في النقد الأدبي، ترجمة حنا عبود، دار المعارف، حمص، ط1، 1987، ص 11.

[2]- عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص 228.

[3]- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 18.

بتجربته وحياته ولتحمل في ثناياها سبل البقاء والموت والخلود فكانت بذلك "محاولة لفهم الكون بظواهره المتعددة أو هي تفسير له"[1]، وهو نفس القول الذي ذهب إليه الدكتور "شوقي عبد لحكيم" ولكنه أضاف قوله: "تفسير للقضايا وأصل وجوهر العلم في عصور ما قبل العلم"[2].

الأسطورة هي روايات خرافية تطورت من أجل تفسير طبيعة الكون ومصير الإنسان وأصول العادات والعقائد والأعمال الجارية في أيامهم، كما تتحدث عن أسماء الأماكن المقدسة والأفراد البارزين والأسطورة كما يرى عالم الاجتماع الفرنسي "كلود ليفي ستروس" (Claude Levy Strauss) "أداة منطقية لحل صعوبة ما"[3]. وهي كما يرى "مرسيا إلياد" بأنها تضفي دلالة ما على العالم الموجود وبفضلها يمكن ادراك العالم بصفته نظاما كونيا قابلا للفهم والإدراك[4].

إن الأسطورة التعليلية كانت تحاول تفسير الظواهر الكونية وتبسيطها وتقريبها من تفكير المجتمع البدائي، حيث المعرفة الساذجة، ولكن الوظيفة المعرفية لم تقف عند هذا الحد، أو خارج الموجود الاجتماعي للفرد، وإنما تناولت موضوعات دنيوية واقعية صارت تشغل الإنسان وخاصة بعد دخول مرحلة التمدن في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، حيث اضطلعت بتفسير الموت والخلود، وهي من القضايا المصيرية التي أدت إلى التطور المدني في تاريخ البشرية. فلقد "كان تقبل العقل البدائي للموت أمرا عسيرا، فلم يكن من المستطاع إقناعه بقبول فكرة القضاء على وجوده الشخصي كظاهرة طبيعية لا مناص من حدوثها، هذه الحقيقة هي نفس الأمر الذي أنكرته الأسطورة وحاولت القضاء عليه، حيث بينت أن الموت لا يعني فناء الحياة الإنسانية، وكل ما يعنيه هو تغيير في صورة الحياة

[1]– نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 18.

[2]– شوقي عبد الحكيم، موسوعة الفلكلور والأساطير العربية، دار العودة، بيروت، ط1، 1980، ص 207.

[3]– محمد عجينة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالتها، ص 60.

[4]– نفس المرجع، ص 58–59.

أي حلول صورة من صور الوجود محل صورة أخرى ولا وجود لحد فاصل وواضح بين الحياة والموت، وأن الحد الذي يفصل بينهما مبهم غير واضح، بل يمكن إحلال كل من الكلمتين (الحياة والموت) محل الأخرى"[1]. فهي كمنهج للتفكير تحل مشكلة الموت من خلال بعث الحياة والضعف البشري بوجود الآلهة المتعددة التي تحولت إلى بشر.

إن استقرار الثقافة وثباتها يسهم في نقلها من جيل إلى جيل، ويرى الدكتور "محمد عجينة": "أن للأساطير وظيفة تتمثل في محاولة تفسير حادثة وقعت في الماضي أو تبرير طقس من الطقوس عفا عليه الدهر، ونسيت بداياته أو شعيرة من الشعائر، أو مؤسسة من المؤسسات الإنسانية الحاضرة تبريرا لمتانة صلتها بالمجتمع الذي أنشأها أو ابتدعها في حقيقة تاريخية معينة، وتوحيدا لمجموعة حولها"[2].

إن تحول الأسطورة إلى وسيلة معرفية له وجه آخر قد لا يخفى، نستطيع أن نصفه بالخطورة حين نعتبر أن الفكر الأسطوري يضمن كل شيء في مرحلة من مراحل التطور البشري المدني، أو بمعنى آخر أن الأسطورة تصبح ذات خطورة إذا تم الاعتقاد التام بها وبصدق أقوالها وحقيقتها في كل الأمور الموضوعية وغيرها.

2-الوظيفة العقائدية أو الإيديولوجية:

يعرف الباحثون والدارسون في مجال الأسطورة الوظيفة العقائدية أو الأيديولوجية بأنها " التصورات التي تخلق الأفكار التي تتحول إلى دستور يهتدي به الفرد في عمله اليومي والمستقبلي"[3]، ويتفق كثير منهم على أن الأسطورة كانت المعتقد الديني للمجتمعات البدائية أو بمثابة امتداد للفكر الديني وهي نابعة من طقوسه، "فالميثولوجيا

---

[1]– ظاهر شوكت: ضرورة الأسطورة قديما وحديثا، الحوار المتمدن، على الموقع:
www.m.ohewar.org/s.asp?aid=82119ar=0 تاريخ الإنزال:2006/11/30 تم الاطلاع عليه يوم 2018/10/27

[2]– محمد عجينة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالتها، ص 14.

[3]–ظاهر شوكت: ضرورة الأسطورة قديما وحديثا.

والعقائدية موجودة وجود البشر، وما يسمى بالإلحاد والوضعية مليئان بهذه وتلك، وهما ليسا أقل من أي دين وهما يطرحان نفسيهما كدين لا كشيء آخر"[1]، ولكي تحول الأسطورة إلى عقيدة يجب على الأقل تحقيق المقتضي الأول، لكل موقف فكري، ويجب فصلها وتحديدها عن أي أسطورة أخرى تتحدث عن الموضوع ذاته وتأكيدها وإن تكن غير مستقلة في بنيتها الداخلية كأسطورة وحيدة ضرورية وحقيقية، إذ أن العقيدة هي توكيد واعي للأسطورة المكتشفة في تجربة دينية معينة مع التمييز الواعي لهذه الأسطورة وتلك التجربة الدينية عن أية أسطورة أو تجربة دينية أخرى، ويرى "روبرت سميث" في كتابه (دين السامين) الذي كتب في سنة 1889 أن في جميع الأديان القديمة تقوم الأسطورة مقام العقيدة ولكن هذه الأسطورة لم تكن جزءً جوهريا من الدين القديم، إذ لم يكن لها قانون مقدس ولا قوة ملزمة للعبادة[2]، كما يردى الدكتور "محمد عجينة" أن هذه الوظيفة تكون عندما يتوقف المعنى التفسيري فهي: "تثبيت للأعمال الطقسية ذات دلالة ما، وتخبرنا عندما يتلاشى بعدها التفسيري بما لها من مغزى استكشافي، وتتجلى من خلال وظيفتها الرمزية أي ما لها من قدرة على الكشف عن صلة الإنسان بمقدساته"[3].

إن الأسطورة تلعب نفس الدور الذي تلعبه الميتافيزيقا في الثقافات التي أعلت من شأن الفلسفة فهي "تعطينا ذلك الإحساس بين المنظور الغيبي والمرئي بين الحي والجامد أي بين الإنسان وبقية مظاهر الحياة، فيما أن النظام الذي تخلقه الأسطورة حولها، ليس نظام العقل المتعالي الذي يجعل نفسه خارج العامل ثم يفسره من بعد ذلك"[4].

فالإنسان لا يستطيع أن يرى نفسه خارج العالم الذي يعمل على تفسيره ويدرك بطريقة ما أن المفسر والمفسر وجهان لعملة واحدة وأن الإدراك هو بأقل الدرجات إدراك

---

[1]– فراس السواح: مغامرة العقل الأولى، ص 176.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص 51، 175.

[3]– ك.ك. راثفين: الأسطورة، ترجمة: جعفر صادق الخليلي، بيروت، 1981، ص39.

[4]– محمد عجينة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالتها، ص 72.

عقلي وذهني مثالي، وهكذا فالأسطورة مرتبطة بالعلم، إلا أن العلم لا يولد من الأسطورة ولكنه لا وجود له بلا أسطورة، فالعلم ميثولوجي. فقد تحدى "برومثيوس" ابن تياتيان وأخ ايبيميتيوس–الاله زيوس عندما سرق النار وأنزلها إلى الأرض ليفيد بها بني البشر، أما جلجامش فقد تحدى الآلهة ليبحث عن مغزى وسرّ الحياة والموت وعليه كانت الأسطورة هي الأداة الأقوى في التثقيف والتطبيع...، إذ أن كلاّ من الأسطورة والفلسفة والعلم يستجيب على طريقته لمطلب النظام، أي لمطلب الإنسان بأن يعيش في عالم مفهوم ومرتب وأن يتغلب على حالة الفوضى الخارجية، التي تتبدى في مواجهته الأولى مع الطبيعة[1].

إن ما يميز الأسطورة العربية عن باقي الأساطير هو خصوصية الأسطورة بحد ذاتها، "فالعرب قبل الإسلام عاشوا تحت تأثير المظلة الأسطورية الآرية للهند وفارس– المحيط الهندي والبحر الأحمر–فعبدوا مظاهر الطبيعة–الصحراوية في مجملها– والديانات الطوطمية كعبادة الأحجار والأشجار، كما يذكر عالم الأساطير العربية السامية "هورت" (Huart) وقد عرف العرب الجاهليون تعدد الآلهة والأرباب..." [2].

وهي الآلهة القبلية الطوطمية التي تحمي تابعيها أو كابديها تتقدمهم في الحروب وتهبهم اقصى درجات وتصور للأمن.

3–الوظيفة التكفلية:

وهناك من الكتاب والباحثين من يرى بأن الأسطورة ليست لها أي وظيفة مما سبق الإشارة إليه سواء كانت تأملية أو عقائدية فهي "ليست تفسيرا أو تعليلا ولا محاولة لتبسيط الظواهر وإنما تكفل السوابق التي تسوغ الحالة الراهنة، وبهذا تصبح الأسطورة تولد

[1]– ينظر: فاطمة شكشاك: التراث الأسطوري في المسرح الجزائري المعاصر، ص44–45 .

[2]– شوقي عبد الحكيم: موسوعة الفولكلور والأساطير العربية، ص54.

وتتطور أي أنها قوة لدعم وترسيخ ما هو موجود"[1]، فالأحداث تولد وتتطور وتموت دون أن تخلد، فهناك في التاريخ عدم استقلالية معينة، وهو دائما مرتبط بالأحداث، ويقتضي شيئا ما معنويا، لا متحركا إذ أنه يجب أن يكون هناك في البداية شيئا ما لكي يصير وهذا الشيء يجب ألا يخضع للتغير، اذا اعتبر جزءا في مجرى عملية التغيير كلها، ويرى "ألكسندر مالينوفسكي" (Malinovski): "أن الأسطورة تمثل الشعوب البدائية التي تسعى إلى إرساء دعائم المعتقدات والممارسات الشكلية للتنظيم الاجتماعي" [2]، وأنها لا تفسر الأصل، وإنما تحافظ على السوابق التي تسوغ الحالة الراهنة.

فالأساطير عند هذه الشعوب بمثابة السلطة المنظمة لها، وهي ذات أهداف عملية لها غاية محددة، هي ترسيخ العادات، وتنظيم سلطة العشيرة، وقد جاء في كتاب (الأسطورة) للكاتب "راثفين" قوله: "الأسطورة ليست تعليلية بل تكفلية وهي لا تشبع فضولا بل تؤكد أيمانا"[3].

إن الأسطورة من هذا المنظور–أي الوظيفة التكفلية– تعبر عن واقع عميق في مرحلة المشاعة البدائية حيث كانت التقاليد والعادات الأسطورية تلعب دورا كبيرا في حياة الفرد والمجتمع، إذ يعتمد عليها ويسعى جاهدا للحفاظ عليها جيلا بعد جيل، وهو ما يميز المجتمعات عن بعضها بفضل تميز كل أسطورة اجتماعية نمطية عن غيرها، أو بتعبير آخر نقول أن لكل مجتمع أسطورة تحدده وتميزه عن غيره، وهذا ما نلاحظه في الحضارات القديمة "ومن ثم اعتمدت الأسطورة تقاليد العامة وأحاديثهم، وحكاياتهم الفطرية المنطوية على تصورات ما تخيلوه، والمفسرة لعلاقة الإنسان بالكائنات التي شاهدها حوله

[1]–ظاهر شوكت: ضرورة الأسطورة قديما وحديثا.

[2]– محمد عجينية: موسوعة أساطير العرب عند الجاهلية ودلالتها، ص 72.

[3]– ك.ك. راثفين: الأسطورة، ص 32.

في حالة البداوة، أو في حالة المرحلة الأسطورية التي مر بها"[1]، وعليه نقول أن الأسطورة من هذا المنظور تمثل ذلك الجانب المتعلق بالجانب الاجتماعي والمرتبط بسلوك المجتمع ككل وليس الفرد بحد ذاته.

4-الوظيفة النفسية:

تلعب الأسطورة دورا كبيرا في الحياة النفسية للإنسان، وهي تعد مخرجا لتلك المكبوتات الداخلية التي لا يستطيع الإنسان أن يعبر عنها بأسلوب مباشر، فيلجأ إلى الرمز والأسطورة، بما فيها من طقوس ومعتقدات سواء أكانت حقيقية أم خرافية، إذ أن الأمر المهم هو السعي نحو السعادة، فلا يمكن لأحد أن ينكر علاقة الأسطورة بالنفس البشرية، كما لا يمكن نكران تأثيرها المستمر حتى بعد انتصار النزعة العقلانية وتحقيق التقدم العلمي[2].

الأسطورة عبارة عن مجموعة من الدوافع ذات الطبائع البدائية التي تضرب بجذورها في أعماق النفس البشرية الجماعية، والتي توحد الحالة العاطفية ويتعلم المرء بها معنى الروابط الجامعة بين الأفراد، وبالأحرى تعلم الأسطورة القاسم المشترك للجماعة من جميع النواحي، وبالتالي تجعلهم في كل واحد حيث يعيشون الحالة الشعورية ويقول "پيريه": "كل الأساطير تعكس اجتماع الضدين في الإنسان بالنسبة إلى العالم، وبالنسبة إلى ذاته العنصر المهم في الأساطير هو السعي نحو السعادة التي يجدها المرء فيها، إنها باختصار تعبر عن الإحساس بأن في الطبيعة ازدواجية، وإن في الإنسان ازدواجية وضديدا لن يجد حلا له في حياته"[3].

---

[1]- رابح العوبي: أنواع النثر الشعبي، ص20.

[2]- فاطمة شكشاك: التراث الأسطوري في المسرح الجزائري المعاصر، ص47.

[3]- جبرا إبراهيم جبرا: الأسطورة والرمز، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1973، ص73.

في مجال آخر نجد أن الأسطورة تتخذ كوسيلة ومن علامات استعمال التعاويذ والتمائم، اعتقادا فيما يكمن فيها من قوى سحرية خفية تجلب الحظ والسعد، وتطرد النحس والشؤم... واعتقادا فيما يكمن ويسكن هذه الأشياء المادية من غيبية، فتتخذ –أي الأسطورة– كوسيلة علاجية فيتقبل الفكر للآلام على الرغم من أن الجسم يأبى تحملها فالمريض يؤمن بهذا التجاوب، وهي تنتمي إلى أفراد مجتمع يؤمن بها، وهنا نلاحظ الأمر العجيب حين تشفي عند الإيمان بها، كما أنهم يكثرون من استعمال هذه الطلاسم والرقي والمعوذات أو التعاويذ لدفع الأوبئة مثل الحمى ولدغ العقارب والحيات، بالإضافة إلى أغراضها الجنسية والعاطفية، ومنها ما كان الغرض منه اتقاء الحسد، النفاثات في العقد وشرور العين والنفس الشريرة.

يرى عالم النفس النمساوي "فرويد" أن الأسطورة عبارة عن أفكار نفسية، ولهذا كانت ذات أثر علاجي نفسي للذين آمنوا بها، خاصة حين تصبح المشاعر الإنسانية موضوعية، "كما حاول أن يرى في الأسطورة –كما في الحلم– مجرد تعبير عن النوازع اللاعقلانية واللامجتمعية التي تسكن البشر، وذلك بصرف النظر عما في الأسطورة من حكمة مختزنة من القرون الماضية وناطقة بلغة خاصة هي لغة الرمز"[1].

وعليه كانت الأسطورة عبارة عن مجموعة من الرموز المتداولة بين بني البشر عبر الزمان "وقد استطاعت بما اصطنعته من رمز أن تخضع غير المدرك وتدخله في نطاق المدرك، كما استطاعت أن تؤكد وضع الإنسان الاجتماعي من خلال وحدة التجربة أو الشعور الإنساني المشترك"[2]، وهذا ما يدفعها للقول بأن المشاعر الإنسانية تصبح موضوعية عندما تكون رمزية، وهي عبارة عن رغبات شعورية تتخللها رغبات فردية

[1]–إيرك فروم: اللغة المنسية، ترجمة حسن القبسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1995، ص 177.

[2]– عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص 229.

عميقة أو اجتماعية عنيفة وقد تكون لا شعوريةّ، والغرض من ذلك حماية الإنسان من دوافع الخوف والقلق الداخلي"[1].

إن للأسطورة دور آخر فهي تقوم بدور تثقيفي للمتلقي، فتستغل قدرتها على التسلية والترفيه عن السامعين لتقوم بعملية الوعظ وتوفير الإلهاء عن التوتر والقلق والاستياء، كما تساعد على غرس الأخلاق الفاضلة كالوفاء بالوعد وطرح الكسل واحترام الكبير والعطف على الصغير والاعتزاز بالنفس وتقديس الحرية ومحبة الآخرين والتمسك بالعدل، ومن جهة أخرى فإنها تصور لنا الأشرار بالطريقة التي تدفعنا إلى كراهية الشر والمسيء وتقوم أيضا بدور كبير في تفسير الحياة التي يعيشها الناس وما يكتنفها من مظاهر طبيعية، فتعطينا بعض المعلومات عن طبائع الحيوانات وصلة بعضها ببعض والحكايات الطافحة بأخبار الغابة ووحوشها ووسائل عيشها وطرق تعاملها مع بعضها البعض، كما أن الأسطورة التي تتناول العلاقات الاجتماعية تنوه بمظاهر السلوك البشري وصلة الأفراد فيما بينهم وواجبات كل منهم والتزامهم إزاء الآخرين، وتبدو قواعد السلوك البشري واضحة محددة بتصرفات الأبطال تمدحها الأسطورة وتبرز النواحي التي ترفضها الجماهير البشرية ولا تقبل بها[2].

إن الأسطورة مشبعة بأعنف الانفعالات والرؤى المزعجة، ولكن الإنسان يستطيع عن طريقها تعلم فن جديد غريب هو فن التعبير، وهذا يعني اكتسابه القدرة على تنظيم غرائزه وآماله ومخاوفه، فمثلا الخوف غريزة بيولوجية لا يمكن قهرها أو قمعها كل القمع، ولكن من المستطاع تغيير صورتها، وتظهر هذه القدرة التنظيمية في أقوى صورها عندما يواجه الإنسان أعظم مشكلاته، أي مشكلة الموت، والموت حقيقة ستحير فهم الإنسان إلى الأبد

---

[1]– نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 18.

[2]– ينظر: فاطمة شكشاك: التراث الأسطوري في المسرح الجزائري المعاصر، ص50.

وتقلق مضجعه، وعليه نجد الأسطورة تتقدم لتؤكد الحياة بعد الموت، وخلود الروح وإمكان الاتصال بين الحيّ والميت[1].

ونستنتج مما سبق وبربطه بتحليلنا للأساطير في الفصل الأول، أن أهم الوظائف التي تندرج فيها أساطير إبراهيم الكوني الروائية هي:

- الوظيفة المعرفية التي تتعلق بالكون والحياة وتتجلى في أسطورة الجد مندام واللقمة الحرام، وأسطورة نزيف الحجر.
- الوظيفة العقائدية أو الأيديولوجية، وتتعلق بالمعتقد الديني للمجتمعات البدائية كأسطورة واو وأسطورة الطوطم.
- الوظيفة التكفلية التي تتعامل مع الجماعة لا مع الفرد فقط، وهي المحررة لشعور الإنسان بالنقص والضعف، وتتجلى بمظاهر الوحدة للشعب الصحراوي والتعاون فيما بينهم.
- الوظيفة النفسية، وترتبط بأحلام البشر وتصوراتهم الرمزية للأشياء، كأسطورة النذر، أسطورة النبوءة، أسطورة السحر، أسطورة القربان.[*]

إذن، الأسطورة هي فن سردي يساهم في الحفاظ على الذاكرة الإنسانية، يعبر الإنسان من خلالها عن فلسفته في الوجود، وكذا محاولاته الفكرية، والتي تتضمن خلاصة تجاربه وماضيه، وكيف حاول التعامل مع واقعه، والوصول إلى نتائج وتفسيرات لكل ما يحيط به.

---

[1]– ينظر: فاطمة شكشاك، مرجع سابق، ص 50، 51.

[*] – وقد سبق أن حللنا محتوى هذه الأساطير في الفصل الأول.

خاتمة

تقص روايات إبراهيم الكوني حياة التوارق في الصحراء، إذ ترصد تعاريج مسيرتهم المعيشية ودقائق يومياتهم المتوزعة بين صيد الغزلان ومطاردة الودان وحراسة الرسوم والأحجار التي خلفها الأسلاف، ومواجهة الفيضانات التي يليها الجفاف، كما ترصد تصوراتهم عن الطبيعة، وعلامات آخر الزمان، وأبجديتهم في قراءة أسطر الغيب، من أبرز النتائج التي توصلنا إليها هي كالتالي:

- الأسطورة هي ملكية جماعية ولا يمكن لأحد أن يدعي حق تأليفها، فهي مجهولة الأصل، أو البلد، أو المؤلف، بل والمنشأ والتاريخ أحيانا، ناهيك عن كونها تمثل ثقافة الأجيال المتعاقبة، وعالميتها وضحت قدرتها المبهرة على الانتقال، وإمكاناتها الهائلة على التكيف خارج وطنها وبعيدا عن زمنها لتظل حية لدى شعوب مخالفة لوطنها.
- التزام الكوني بنموذج أو بنماذج معينة وشخصيات تتكرر مثلا: أمغار، السحرة الودّان، الطوطم، أسطورة واو، الغزال، الجمل، الذئب، الأرنب، العجوز الطلياني الطفل آيس....
- ارتباط الوقائع في هذه الحكاية بالتعليل غير المنطقي، أو ما يسميه "ميخائل باختين" في دراسته للرواية بالتعليل الكاذب الذي لا يقوم على الرابطة السببية والمنطقية بين الوقائع، بل العلاقات تخييلية بحتة، وما يجعلها تعليلات أسطورية هو ارتباطها بأفعال خارقة عجيبة، خارجة عن وقائع البشر.
- يضفي توظيف الأساطير على روايات الكوني بعدا حداثيا وجماليا، كما يضيف إليها بعدا روحيا وإنسانيا. والكاتب يحرص على توظيف الأساطير التارقية الصحراوية حرصا منه على التعريف بهذه المجموعة الاجتماعية لأن الأسطورة جزء من ثقافة وحياة الشعب المنتج لها، والمؤمن بها، كما أنها تمثل وعيه الجمعي وذاكرته الجماعية.

- تصف الدراسات النقدية روايات الكوني بأنها تنتمي إلى الرومانسية الجديدة، والتي تتسم بتخيل الواقع، كما ينتقده البعض أنه أسير الرواية الصحراوية بأساطيرها المتكررة إلى درجة الملل كأسطورة الطوطم، أسطورة الودان، أسطورة قابيل وهابيل أسطورة الجد مندام، أسطورة تانس وأطلانتس، أسطورة واو الكبرى والصغرى أسطورة التابو...
- إذا عدنا إلى روايات الكوني نجد بأن الإله الصحراوي يقترن رمزيا بعدد من الحيوانات، يأتي في مقدمتها الثور الوحشي والودان، وبسلالة الزواحف تتصدرها الأفعى والضب واليربوع والقنفذ والأرنب.
- إذا كانت رواية المدينة الحديثة تنطلق أو تستمد مقومات وجودها من الواقع، فإن نصوص الصحراء تستمد مرجعياتها من الأسطورة بالدرجة الأولى. إن مركز العالم التخييلي في رواية المدينة هو الإنسان، فإنه ليس كذلك في رواية الصحراء، حيث إن طل كائن حي، نبات أو حيوان، بل حتى الجماد قد يحتل هذا المركز.
- إن أهم الوظائف الأسطورية التي تندرج تحتها أساطير الكوني هي الوظيفة المعرفية، العقائدية، التكفلية والنفسية.

ختاما يمكن القول إن الكوني نجح في خلق رواية يتظافر فيها الواقعي بالأسطوري والحقيقي بالخيالي ليخرجنا من المعاني المألوفة للأشياء، والصيغ النمطية في التأليف بعبارة أخرى لقد خلق الكوني رواية لا يمكن أن تترك القارئ الذي تعرف إليها لا مباليا.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص.

أولا قائمة المصادر:

1. إبراهيم الكوني: الخسوف1، البئر، دار التنوير للطباعة والنشر، تاسيلي، ط2 1991.
2. إبراهيم الكوني: رواية الخسوف 2، الواحة، دار التنوير للطباعة والنشر، ط2 1991.
3. إبراهيم الكوني: رواية التبر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3 1992
4. ابراهيم الكوني: رواية نزيف الحجر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ط3، 1992.
5. إبراهيم الكوني: رواية المجوس، ج2، دار التنوير والطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1992.
6. إبراهيم الكوني: رواية السحرة، ج1، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، ط1 1994.
7. إبراهيم الكوني، رواية "واو الصغرى"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1 1997 إبراهيم الكوني: رواية بر الخيتعور، المؤسسة العربية للدراسات والشر بيروت، ط2، 1999.

ثانيا-المراجع:

أ-الكتب:

1. إيرك فروم: اللغة المنسية، ترجمة حسن القبسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1995.
2. جبرا إبراهيم جبرا: الأسطورة والرمز، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1973.
3. جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، قسم الدراسات والبحوث، الأسطورة توثيق حضاري، البحرين، ط1، 2009

4. جيرار رينيه: العنف والمقدس، تر: سميرة ريشا، مراجعة جورج سليمان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1.
5. حليفي شعيب: شعرية الرواية الفانتاستيكية، المجلس الأعلى للثقافة، الرباط، ط 1997.
6. حنا عبود: النظرية الأدبية الحديثة والنقد الأسطوري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999.
7. خليل أحمد خليل: مضمون الأسطورة في الفكر العربين دار الطليعة، بيروت ط3، 1986.
8. رابح العوبي، أنواع النثر الشعبي، منشورات باجي مختار، عنابة، د ط، د.س.
9. رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، (عربي إنجليزي، فرنسي)، دار الحكمة، الجزائر، 2000.
10. ستراوس كلود ليفي: الأسطورة والمعنى، ترجمة وتقديم د. شاكر عبد الحميد مراجعة د. عزيز حمزة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986.
11. سعيد الغانمي: ملحمة الحدود القصوى، المخيال الصحراوي كما تجلى في الأدب الدوني، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط1، 2000.
12. شوقي عبد الحكيم: موسوعة الفولكلور والأساطير العربية، دار العودة، بيروت ط1، 1980.
13. صالح فخري: في الرواية العربية الجديدة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 2009.
14. صموئيل هنري هووك: منعطف المخيلة الشعبية، ترجمة صبحي حديدي، دار الحوار والنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط2، 1995.
15. عبد المالك مرتاض: الميثولوجيا عند العرب، الدار التونسية، MTE، دط، دس.
16. عبد النور جبور: المنجد في اللغة العربية، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2 2000.
17. عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، دار العودة ودار الثقافة، بيروت ط3، 1981.

18. فراس السواح: الأسطورة والمعنى، دار علاء الدين للنشر، دمشق، سوريا، ط1 1997.
19. فراس السواح: مغامرة العقل الأولى، دار الكلمة، بيروت، 1998.
20. فرويد سيجموند: الطوطم والتابو، ترجمة بوعلي ياسين، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، اللاذقية، ط1، 1983.
21. ك.ك. راثفين: الأسطورة، ترجمة: جعفر صادق الخليلي، بيروت، 1981.
22. كمال الدين حسين: التراث الشعبي في المسرح المصري الحديث، تقديم مختار السويفي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1993.
23. محمد الجوهري: علم الفولكلور، ج2، دراسة المعتقدات الشعبية، دار المعرفة مصر، 1978.
24. محمد عبد المعيد خان: الأساطير والخرافات عند العرب، دار الحداثة، بيروت لبنان، ط3، 1981.
25. محمد عجينة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالتها، دار الفارابي بيروت، ط1، 1994.
26. مرسيا إلياد، مظاهر الأسطورة، ترجمة نهاد خياطة، دار كنعان للدراسات والنشر دمشق، ط1، 1991.
27. نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للنشر والتوزيع مصر، د.ط، 1981.
28. نور ثروب فراي، نظرية الأساطير في النقد الأدبي، ترجمة حنا عبود، دار المعارف حمص، ط1، 1987.

ب-الرسائل والمذكرات الجامعية:

1. سعدي حمودي: توظيف الأسطورة في روايات عبد الحليم بركات، رواية أنانة والنهر نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الشعبي، جامعة خنشلة 2006.

2. فاطمة شكشاك: التراث الأسطوري في المسرح الجزائري المعاصر، مسرحية (كل واحد وحكمو) لعبد الرحمن كاكي نموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الحديث، تخصص مسرح جزائري، جامعة الحاج لخضر، باتنة 2009.
3. مليكة سعدي: الصحراء والأسطورة في روايات إبراهيم الكوني، مقاربة انثروبولوجية، مشروع أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2013.

ج-المجلات والدوريات:

1. الحياة الجديدة: دراسة تحليلية لرواية نزيف الحجر للكاتب إبراهيم الكوني، مقال منشور على الموقع: www.alhaya.ps/arch_page.php?ni تاريخ الإنزال:2015، تم الاطلاع عليه يوم 2018/10/20
2. وديع بشور، الميثولوجيا السورية، على الموقع: http://www.goodreads.com تاريخ الإنزال:2013/11/28 تم الاطلاع عليه يوم 2018/10/25
3. سفر التكوين، إصحاح 4، الكتاب المقدس https://www.enjeel.com/bible.php?ch=24&bk=1 تاريخ الإنزال: 2018/01/07 تم الاطلاع عليه يوم 2018/10/15
4. ظاهر شوكت: ضرورة الأسطورة قديما وحديثا، الحوار المتمدن، على الموقع: www.m.ohewar.org/s.asp?aid=82119ar=0 تاريخ الإنزال: 2006/11/30 تم الاطلاع عليه يوم 2018/10/27.
5. عبد الله الحمداوي: الأسطورة، المفهوم المتعدد https://www.m.hespress.com ، تاريخ الإنزال:2018/02/05، تم الاطلاع عليه يوم 2018/10/04
6. مديحة عتيق: توظيف الأسطورة في رواية نزيف الحجر، مجلة الموقف الأدبي العدد 406، اتحاد الكتاب العرب، دمشق شباط 2005.

7. فراس السواح: الأسطورة مكون أساسي من مكونات الدين، على الموقع: www.maaber.org/issue-july05/mythology1.htm، تاريخ الإنزال:2003/05/22، تم الاطلاع عليه يوم 2018/09/29

مهدي جعفر: فكر فراس السواح، الميثولوجيا والأديان، الحوار المتمدن، على الموقع: www.m.ohewar.org/s.asp?aid=571024ar=0 تاريخ الإنزال:2017/09/04، تم الاطلاع عليه يوم 2018/10/02

المراجع باللغة الأجنبية:

1. Paul Robert, le petit Robert, avenue Parmentier, Paris, G6-1986

فهرس الموضوعات

مقدمة.....**1**

مدخل **6**

مفهوم الأسطورة.....**6**

الفصل الأول

تشكلات الأسطورة في روايات الكوني

1-الأسطورة الكونية (التكوين) **18**

1-1-أسطورة الجد مندام واللقمة الحرام 18

1-2-أسطورة نزيف الحجر 19

2-الأسطورة الطقوسية.....**23**

2-1- أسطورة التابو 23

2-2- أسطورة القربان 24

2-3- أسطورة النذر 26

2-4- أسطورة السّحر..... 27

2-5-أسطورة النبوءة..... 28

3-الأسطورة التعليلية **29**

3-1- أسطورة عبادة تانيت 30

3-2- اسطورة بعير الصحراء..... 31

4-الاسطورة الوعظية **32**

4-1- اسطورة واو الكبرى..... 33

4-2- أسطورة واو(الإخبار الأول)..... 34

4-3- الإخبار الثاني لأسطورة واو 36

5-الأسطورة الرمزية 37

5-1- أسطورة الطوطم..... 38

6-أسطورة البطل المؤله 41

6-1- أسطورة الأرنب والودان..... 41

الفصل الثاني

البنية الوظيفية للأسطورة

1-الوظيفة المعرفية (التفسير، التأويل، التأمل)..... 44

2-الوظيفة العقائدية أو الإيديولوجية..... 46

3-الوظيفة التكفلية 48

4-الوظيفة النفسية 50

خاتمة..... 54

قائمة المصادر والمراجع 57

فهرس الموضوعات..... 63